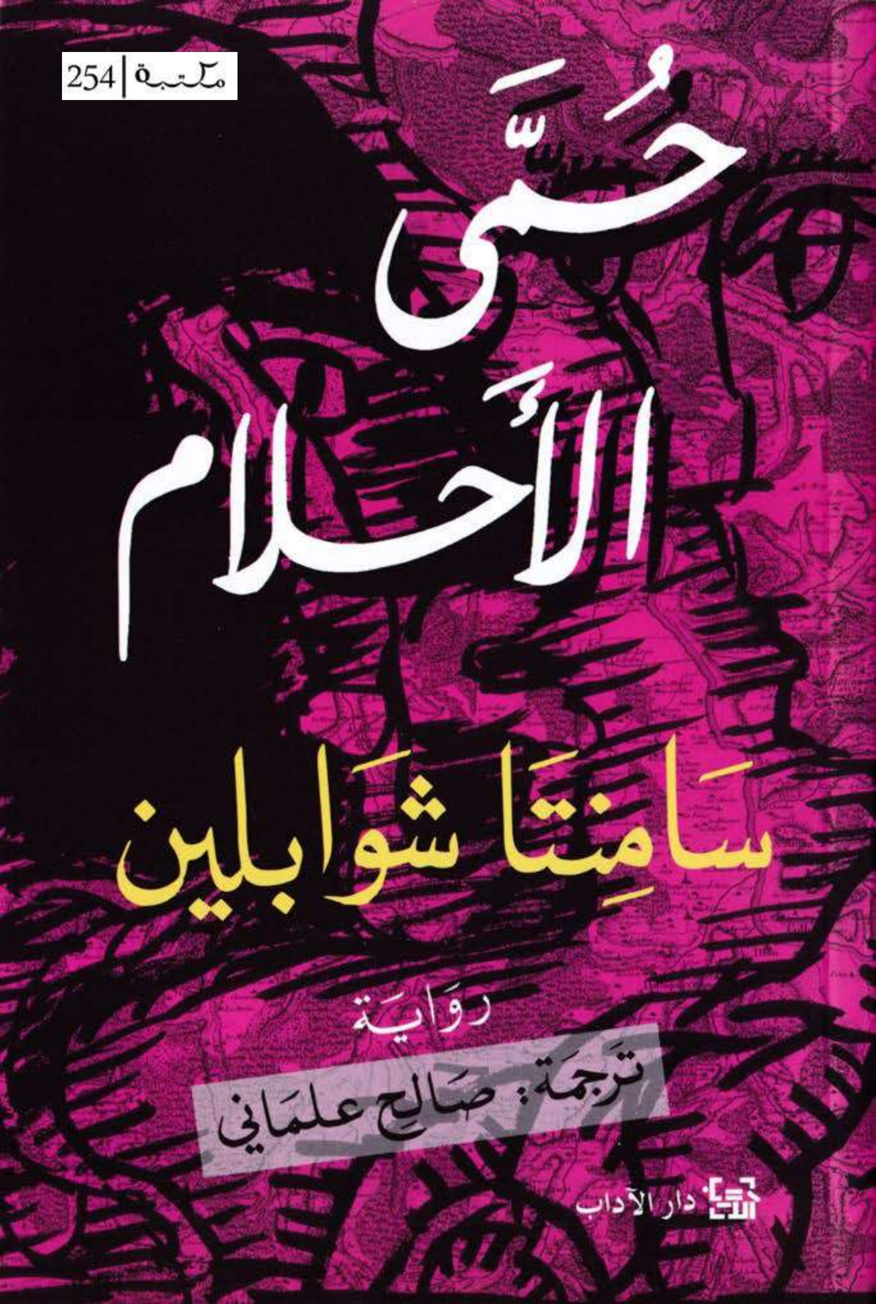


مكتبة | 254
حُمّى الأحلام
سامنتا شوابلين
رواية
ترجمة: صالح علماني
دار الآداب

سامنتا شوابلين

حمَّى الأحلام



رواية

دار الآداب - بيروت


MOHAMED KHATAB

حمّى الأحلام

سامنتا شوابلين / كاتبة أرجنتينيّة

الطبعة الأولى عام 2018





دار الآداب للنشر والتوزيع

ساقية الجنزير ـ بناية بيهم

بيروت ـ لبنان

هاتف: 861633 (01) ـ 861632 (03)

فاكس: 009611861633

e-mail: rana@daraladab.com

info@daraladab.com


/Dar.Al.Adaab


@DarAlAdab


daraladab.com



إلى أختي، باميلا


MOHAMED KHATAB



«لأوّل مرّة منذ زمن بعيد،
خفض وليام بصره ونظر
إلى يديه.
إذا ما مررتم في هذه التجربة،
فستعرفون ما الذي أعنيه.»

جيسي بول، «حظر التّجوُّل»


محمد خطاب

إنها أشبه بديدان.

أيّ نوع من الديدان؟

مثل الديدان، في كلّ مكان.

يتكلّم الصبيّ. يقول لي الكلمات في أذني. وأنا من أسأل: ديدان في الجسم؟

أجل، في الجسم.

دود أرض؟

لا، نوع آخر من الديدان.

هنالك ظلام، ولا أستطيع الرؤية. الملاءات خشنة، تنثني وتتكوّم تحت بدني. لا أستطيع الحركة. أقول له:

بالنّسبة إلى الديدان، يجب التحلّي بالصّبر، والانتظار. ويجب العثور على النقطة الدقيقة التي تولد منها الديدان، في أثناء الانتظار.

لماذا؟

لأنّ ذلك مهمّ، مهمّ جدًّا للجميع.

فأحاول الموافقة بهزّ رأسي، لكنّ جسدي لا يستجيب.

ماذا يحدث أيضًا في حديقة المنزل؟ هل أنا في الحديقة؟

لا، لستَ موجودًا، لكنّ كارلا، أمّكَ، موجودةٌ. لقد تعرّفتُ إليها قبل أيّام، عندما كنّا قد وصلنا حديثًا إلى البيت.

ما الذي تفعله كارلا؟

تُنهي تناول القهوة وتترك الفنجان على العشب إلى جانب كرسيّ الشاطئ.

وماذا أيضًا؟

إنّها تنهض وتبتعد. تنسى صندلها. يظلّ بعيدًا بضعة أمتار، على حافّة حوض السباحة، ولكنّني لا أقول لها شيئًا.

لماذا؟

لأنّني أريد الانتظار لأرى ما تفعله.

وماذا تفعل؟

تعلّق حقيبتها على كتفها وتبتعد بالمايوه البكيني الذهبيّ حتّى السيّارة. هنالك شيء من الافتتان المتبادل بيننا. وهناك، في المقابل، لحظاتٌ قصيرة من النفور، يمكنني الشعور بها في أوضاع محدّدة جدًّا. أأنت متأكّد من ضرورة هذه الملاحظات؟ ألدينا وقت لهذا؟

الملاحظات مهمّة جدًّا. لماذا أنتما في الحديقة؟

لأنّنا رجعنا للتوّ من البحيرة، ولا تريد أمّك الدخول إلى بيتي.

تريد تجنّب المشاكل.

أيّ نوع من المشاكل؟ صار عليّ أن أدخل وأخرج مرّة بعد أخرى، أوّلًا من أجل الليموناضة، وبعد ذلك من أجل المرهم الواقي من الشمس. لا أظنّ أنّ في هذا تجنّبًا للمشاكل.

لماذا ذهبتما إلى البحيرة؟

طلبت منّي أن أعلّمها قيادة السيّارة. قالت إنّها رغبت في تعلّم ذلك على الدوام، ولكنّنا حين صرنا عند البحيرة لم تجد أيٌّ منّا الصبرَ اللّازم.

ماذا تفعل الآن في الحديقة؟

تفتح باب سيّارتي، وتجلس وراء المقود، وتُقلّب برهة في محفظة السيّارة. أُنزل ساقَيّ عن كرسيّ الشاطئ وأنتظر. الحرُّ شديد. تتعب كارلا بعد ذلك من التقليب، وتمسك المقود بكلتا يديها. وتظلّ على هذه الحال دقيقةً، تنظر إلى البوابة، أو ربّما إلى البيت، أبعدَ بكثير من البوابة.

وماذا أيضًا؟ لماذا تصمتين؟

إنّني عالقة في هذه القصّة. أرى ذلك بدقّة تامّة، لكنّني أجد صعوبة في التقدّم أحيانًا. أيكون ما تحقنني به الممرضات السّببَ؟

لا.

ولكنّني سأموت خلال ساعات قليلة. سيحدث هذا، أليس كذلك؟ غريب أن أكون هادئة إلى هذا الحدّ. فأنا أعرف ذلك حتّى لو لم تقله لي، ومع أنّه من المحال أيضًا أن يقوله أحدنا بنفسه.

لا شيء مهمًا من هذا. إنّنا نضيّع الوقت.

ولكن هذه هي الحقيقة، أليس كذلك؟ سأموت.

ماذا يحدث أيضًا في الحديقة؟

تسند كارلا جبهتها إلى مقود السيّارة ويهتزّ كتفاها قليلًا، وتبدأ بالبكاء. أتظنّ أنّه يمكن لنا أن نكون قريبين من النقطة الدقيقة التي تتوالد منها الديدان؟

واصلي، لا تنسَي التفاصيل.

لا تُحدث كارلا أيَّ ضجة، لكنّها تتمكّن من جعلي أنهض وأمشي نحوها. لقد أعجبتني منذ البداية، منذ اليوم الذي رأيتها تحمل فيه الدُلوين البلاستيكيَّين الكبيرين تحت الشمس، بعقيصة شعرها الكبيرة الضاربة إلى الحمرة، وبملابس الجينز الخاصّة بالبستنة. لم أرَ أحدًا يستخدم تلك الألبسة منذ مراهقتي، وكنت أنا من ألححتُ على تناول الليموناضة، ودَعَتْها إلى تناول المَتّة في صباح اليوم التالي، واليومِ الذي تلاه، والذي بعده أيضًا. أهذه هي التفاصيل المهمّة؟

تكمن النقطة الأساسيّة في تفصيل ما، لا بدّ لأحدنا من أن يكون ملاحظًا.

أجتازُ الحديقة. وعندما أتجنّب حوض السباحة، أنظر نحو غرفة الطعام، وأتأكّد من خلال النافذة الكبيرة من أنّ نينا، ابنتي، ما زالت نائمة، ومحتضنة دبدوبها الضخم المصنوع من الفرو. أستقلّ السيّارة من جهة المرافق. أجلس، لكنّني أترك الباب مفتوحًا وأُنزل زجاج النافذة، لأنّ الحَرّ شديد. عقيصة شعر كارلا الكبيرة متهدّلة قليلًا،

مفلتة جانبًا. تسند ظهرها إلى المقعد وهي واعية بأنّني قد صرتُ هناك، إلى جانبها مرّة أخرى، فتنظر إليّ.

«إذا ما أخبرتكِ ـ تقول ـ فلن ترغبي بعدها في رؤيتي ثانية».

أفكّر فيما يمكن أن أقوله. شيء من نوع «ولكن، أرجوكِ يا كارلا، لا تكوني مُضحكة»، لكنّني، بدلًا من ذلك، أنظر إلى أصابع قدميها، متوتّرةً على الدوّاستين، وإلى ساقيها الطويلتين، وذراعيها النحيلتين، ولكنِ القويّتين. ويحيّرني أنّها امرأة أكبر منّي بعشر سنوات، وهي أكثر جمالًا منّي بكثير.

«إذا ما أخبرتك ـ تقول ـ فلن توافقي على أن يلعب مع نينا».

ـ ولكنْ، أرجوك يا كارلا. كيف لن أقبل».

«لن تقبلي يا آماندا»، تقول، وتمتلئ عيناها بالدُّموع.

ـ ما اسمه؟

ـ دافيد.

ـ أهو لكِ؟ أهو ابنكِ؟

تؤكّد بهزّ رأسها: هذا الابن هو أنت يا دافيد.

أعرف، تابعي.

تمسح الدموع بفقرات ظاهر يدها، وترن أساورها المذهّبة. لم أكن قد رأيتُكَ قطّ، لكنّني حين تحدّثتُ في الأمر مع السيّد خيسيير، المسؤول عن صيانة البيت الذي استأجرناه، وكان يرى كارلا، سألني على الفور إن كنت قد تعرّفتُ إليكَ، فقالت كارلا:

ـ لقد كان لي، ولم يعد كذلك الآن.

نظرتُ إليها من دون أن أفهم، فقالت:

ـ لم يعد ينتمي إليّ.

ـ يظلّ الابن، يا كارلا، ابنًا مدى الحياة.

«لا يا عزيزتي»، تقول.

لها أظفار طويلة، وتشير بيدها عند مستوى العينين.

أتذكّر عندئذ علبة سجائر زوجي. أفتح محفظة السيّارة وأقدّمها إليها مع الولاعة. تنتزعهما من يدي عمليًا، ويتحرّك بيننا كذلك عطرُ مرهم حماية بشرتها من الشمس.

ـ عندما وُلد دافيد كان ضوء حياتي، كان شَمسي.

«أجل، بالطبع»، أقول، وأنتبه إلى أنّ عليّ أن أصمت الآن.

ـ عندما أعطوني إيّاه أوّل مرّة كي أحمله، شعرتُ بغمٍّ شديد. كنت مقتنعة بأنّ هناك إصبعًا ناقصة فيه ـ تُثبّت السيجارة بشفتيها، مبتسمة للذكرى، وتشعلها ـ. قالت الممرّضة إنّ مثل هذا يحدث عادة بتأثير التخدير، بحيث يتواصل التأثير لوقت قصير، ولم أقتنع بأنّ كلّ شيء جرى على ما يرام إلّا بعد أن عددت أصابع يديه العشر مرّتين.

ـ ما الذي حدث لدافيد؟

ـ لكنّه كان شمسًا يا آماندا، أقول لكِ إنّه كان شمسًا. يبتسم طوال اليوم. وأكثر ما كان يروق له هو البقاء خارجًا. تصيبه ساحة القرية بجنون السعادة، منذ صِغَره. أنتِ لاحظت أنّه لا يمكن التجوّل هنا

بعربة طفل. أمّا في القرية، فالأمر ممكن. ولكن من أجل الذهاب من هنا حتّى الساحة، لا بدّ من المرور بين المزارع والأكواخ التي على الطريق. إنّها ورطة بوجود الوحل. أمّا هو، فكان يحبّ ذلك كثيرًا. كنت أحمله إلى هناك بين ذراعي حتى بلوغه الثالثة، مجتازةً الاثنتي عشرة كوادرا. وحين يرى الزلاقة يبدأ بالصراخ. أين هي منفضة السجائر في هذه السيّارة؟

إنّها تحت محفظة الأوراق. أسحبُ المنفضة وأقدّمها إليها.

ـ مرض دافيد عندئذ، في تلك السنّ تقريبًا، منذ نحو ستّ سنوات. حدث ذلك في لحظة معقّدة. كنتُ قد بدأت العمل في مزرعة سوتومايور. وكانت المرّة الأولى التي أعمل بها في حياتي. كنت أنجز له الحسابات، وهي حسابات لم يكن لها في الحقيقة أيُّ علاقة بالمحاسبة. فلنقل إنّني كنت أرتّب له الأوراق، وأساعده في عمليّات الجمع الحسابيّة، ولكنّني كنت أتسلّى. كنت أقوم بإجراء معاملات في القرية، مرتديةً ملابسَ جيّدة. الأمر مختلف بالنسبة إليكم أنتم الآتين من العاصمة، فمن أجل ارتداء ما يلفت الأنظار هنا لا بدّ من مسوّغ، وتلك الوظيفة كانت مناسبة تمامًا.

ـ وماذا عن زوجك؟

ـ كان زوجي «عمر» يربّي خيولًا. هكذا، مثلما تسمعين. كان عمر شخصًا آخر.

ـ أظنّ أنّني رأيته أمس عندما خرجتُ مع نينا للقيام بجولة. مرّ بشاحنته الصغيرة، ولكنّه لم يردّ على تحيّتنا له.

ـ أجل، هذا هو عمر الآن ـ تقول كارلا وهي تهزّ رأسها ـ. عندما تعرّفتُ إليه، كان لا يزال يبتسم، وكان يربّي خيول سباق. كانت خيوله في الجانب الآخر من القرية، بعد البحيرة. ولكن، عندما حبلتُ، نقل كلّ شيء إلى هنا. وهنا تعني: بيتَ أبوَيَّ. كان عمر يقول إنّنا سنغرق في الأموال عندما يحالفه الحظّ، وسنقوم بإصلاح كلّ شيء وترميمه. أنا كنت أرغب في وضع سجّادة على الأرض. أجل، إنّها فكرة مجنونة للعيش حيث أعيش. ولكنْ، يا للوهم الذي كان يداعبني. كان عمر يملك فَرَسين أصيلتين أنجبتهما تريستيڤا كات وغاموزا فينا، وقد بِيعت هاتان الفَرَسان الأخيرتان وكانتا تسابقان، وما زالتا، في مضمارَي باليرمو وسان إيسيدرو. أنجبتا بعد ذلك فرسين أُخريين، ومهرًا، ولكنّني لم أعد أتذكّر أسماءها. يجب أن يكون لديك فحل تلقيح، من أجل أن تمضي أمورك على ما يرام في هذه التجارة. وكان هناك من يُعير عُمر أفضل حصان تشبية. سيّج جزءًا من قطعة الأرض للأفراس، وأقام زريبة في الخلف للأمهار، وزرع برسيمًا، وراح يبني الإسطبل بعد ذلك، بهدوء وعلى مهل. كان الاتّفاق أن يطلب فحل التلقيح ويُبقونه عنده يومين أو ثلاثة أيّام. وعندما تباع الأمهار يذهب ربع المبلغ إلى صاحب حصان التلقيح. وهذا مال كثير، لأنّ الفحل إذا كان من سلالة أصيلة، وجرت رعاية الأمهار بصورة جيّدة، فإنّ كلّ واحد منها يباع بما بين 200 و250 ألف بيزو. وهكذا، كان ذلك الحصان المبارَك عندنا. يراقبه عمر طوال النهار. يلاحقه مثل زومبي كي يحسب كم مرّة ركب الحصانُ كلَّ فرس. ويظلّ ينتظر إلى أن أعودَ من عملي عند سوتومايور، من أجل أن يخرج، فيكون دوري أنا عندئذ في المراقبة؛ فكنت أكتفي بإلقاء نظرة سريعة على الحصان بين حين وآخر من خلال نافذة المطبخ.

يمكن لكِ أن تتخيّلي ذلك. ما حدث هو أنّني كنت أغسل الأطباق في أحد الأيّام، وانتبهت إلى أنّني لم أرَ حصان التلقيح منذ بعض الوقت. ذهبتُ إلى النافذة الأخرى، وإلى الثالثة حيث يُرى الجانب الخلفيّ، ولم أجد شيئًا: الأفراس موجودة، ولكن لا يوجد أيّ أثر للفحل. أحمل دافيد، وكان قد بدأ يخطو خطواته الأولى، ويحاول طوال الوقت اللّحاق بي عبر البيت، وأخرج. لا وجود لكثير من اللّفّ والدوران في هذه الأمور، فالحصان إمّا يكون موجودًا وإمّا هو غير موجود. من المؤكّد أنّه، لسبب ما، قد تجاوز السياج. أمر غريب، لكنّه يحدث أحيانًا. توجّهت نحو الإسطبل متضرّعة إلى اللّه أن يكون هناك، لكنّه لم يكن هناك أيضًا. تذكّرت الجدول، فهو مجرى ماء ضئيل، ولكنّه منخفض، يمكن لحصان أن يكون هناك يشرب ماءً ولا يستطيع أحدنا رؤيته من البيت. أتذكّر أنّ دافيد سأل ماذا جرى، فحملته بين ذراعَيّ قبل أن أخرج من المنزل وكان يحتضن رقبتي. كان صوته يتقطّع مع الخطوات الواسعة التي أخطوها من جانب إلى آخر. «أونات ماما»[1]، قالها دافيد. وهناك بالفعل كان الحصان الفحل، يشرب ماءً من الجدول. لم يعد يناديني الآن ماما. نزلنا، ورغب دافيد في أن أُنزله على الأرض. قلت له ألّا يقترب من الحصان، بينما رحت أقترب بخطوات قصيرة منه، فكان الحصان يبتعد أحيانًا، ولكنّني تمسّكت بالصبر وسرعان ما وثق بي. استطعت إمساكه من عنانه. يا للراحة. إنّني أتذكّر جيّدًا، تنهّدتُ وقلت بصوت عالٍ، «إذا ما فقدتك، فسأفقد البيت أيضًا، أيّها التعيس». أترين يا أماندا، هذا أشبه بالإصبع التي ظننتها ناقصة لدى دافيد. إنّ أحدنا

(1) «هناك يا أمّاه»، كما يقولها طفل لم يتعلّم نطق الحروف كلّها بعد.

يقول «فقدان البيت هو أسوأ الأمور»، ويكتشف بعد ذلك أنَّ هناك أمورًا أسوأ. يُقدم أحدُنا بيته وحياته في مقابل أن يعود إلى تلك اللَّحظة ويفلت زمام ذلك الحصان اللَّعين.

أسمعُ صوت صَفْقِ الباب ذي الناموسيَّة في غرفة المعيشة، ونلتفت، كلتانا، نحو البيت. نينا عند الباب، تحتضن دبدوبها. إنَّها نائمة؛ نائمة إلى حدّ يبدو معه أنَّ عدم رؤيتنا في أيّ مكان أمرٌ لم يرعبها. تخطو بضع خطوات، وتتشبَّث بالحاجز من دون أن تفلت دمية الفرو، وتركّز كي تنزل درجات الممرّ الثلاث، إلى أن تطأ العشب. تعود كارلا إلى الاستناد إلى المقعد وتنظر إليها من خلال المرآة العاكسة، بصمت. تنظر نينا إلى قدميها. إنَّها تفعل هذا الجديد الذي تفعله منذ أن وصلنا؛ تقوم بمحاولة انتزاع العشب بفتح أصابع القدمين وإطباقها.

- جلس دافيد القرفصاء في الجدول. كان حذاؤه مبتلًا، وقد أدخل يديه في الماء وراح يمصّ أصابعه. رأيت العصفور الميّت عندئذ. كان قريبًا جدًّا، على بُعد خطوة من دافيد. صرخت به مذعورة، وذُعر هو أيضًا، فنهض على الفور وسقط على مؤخّرته من الذعر نفسه. يا لدافيدي المسكين. اقتربتُ وأنا أجرّ الحصان الذي راح يصهل ولا يريد العدو خلفي، وعملت كيفما استطعت لحمل ابني بيد واحدة والصراع مع الاثنين من أجل الصعود إلى أعلى. لم أَقُلْ لعمر شيئًا بهذا الشأن. ولماذا القول؟ فالواقعة قد وقعت، وانتهت. لكنَّ الصباح طلع على الحصان في اليوم التالي وهو مستلقٍ. «إنَّه غير موجود»، قال عمر، «لقد هرب»، وكنت على وشك أن أخبره بأنَّ الحصان قد هرب مرَّة من قبل، لكنَّه لمحه عندئذ مستلقيًا في المرعى. فقال: «يا للعنة».

كانت أجفان الحصان الفحل متورّمة بطريقة لا يمكن معها رؤية عينيه. وشفتاه، وفمُه كلُّه، وفتحتا أنفه، متورّمة جميعها كثيرًا، بحيث بدا كما لو أنّه حيوان آخر؛ حيوانٌ مسخ. لم يكن لديه من القوّة ما يكفي لأن يشكو، وقال عمر إنّ قلبه ينبض مثل قاطرة. أرسل في طلب البيطريّ، بصورة عاجلة. وجاء بعض الجيران، وكانوا جميعهم قلقين يتراكضون من مكان إلى آخر. أمّا أنا، فرجعت يائسة إلى البيت. أخرجت دافيد الذي كان لا يزال نائمًا في مهده، واعتكفت في الغرفة، على السرير، وهو بين ذراعَيّ، لأصلّي. أصلّي كمجنونة؛ أصلّي كما لم أفعل في حياتي قطّ. ستفكّرين لماذا لم أهرع إلى الطبيب المناوب بدلًا من اعتكافي في الحجرة، ولكن ليس هناك، في بعض الأحيان، متّسعٌ من الوقت للتأكّد من المصيبة. فمهما يكن ما تناوله الحصان، فإنّ ابني دافيد قد تناوله أيضًا. وإذا كان الحصان يحتضر، فلا حظٌّ لابني في النجاة. عرفت ذلك بكلّ وضوح، لأنّي كنت قد سمعت ورأيت أمورًا كثيرة في هذه القرية: لديّ ساعات قليلة، ربّما دقائق فقط، لأجد حلًّا غير الانتظار نصفَ ساعة عند طبيب ريفيّ لا يصل عادة إلى مناوبته في الموعد المحدّد. إنّني في حاجة إلى من ينقذ حياة ابني، مهما كلّف الأمر.

أراقب نينا مرّة أخرى، وهي تخطو الآن بضعَ خطوات نحو المسبح الصغير.

ـ المسألة هي أنّ العيون كلّها لا تكون كافية في بعض الأحيان، يا آماندا. لا أدري كيف لم أرَه؟ وبسبب أيّ براز كنت مهتمّة بحصان عاهر بدلًا من الاهتمام بابني.

إنَّني أتساءل إذا كان يمكن أن يحدث لي الشيء نفسُه الذي حدث لكارلا. فأنا أفكّر دومًا في أسوأ الاحتمالات. والآن بالذات، أُقدِّر وأحسب كم من الوقت سأحتاج كي أخرج مندفعة من السيّارة وأصل إلى نينا إذا ركضتْ هي فجأة نحو المسبح وألقت بنفسها فيه. هذا هو ما أسمّيه «مسافة الإنقاذ». هذه هي التسمية التي أُطلقها على المسافة المتباينة والتي تفصل بيني وبين ابنتي، وأمضي نصف اليوم في حسابها، وإن كنت أجازف دومًا أكثر ممّا يجب.

ـ عندما قرّرتُ ما يجب فعله، لم يعد هنالك مجال للتراجع. وكلّما فكّرت في الأمر أكثر، بدا لي أنّه المخرج الوحيد المحتمل. حملتُ دافيد، وكان يبكي بسبب غمّي على ما أتوقّع، وخرجتُ من البيت. كان عمر يتجادل مع رجلين بشأن الحصان، وكان يمسك برأسه. وكان جاران آخران ينظران من قطعة الأرض الخلفيّة، ويتدخلان أحيانًا في الجدال، معبّرَين عن آرائهما من حقل إلى حقل. مشيت من دون أن ينتبه الجميع إليّ. خرجتُ إلى الشارع ـ قالت كارلا مشيرة إلى نهاية حديقتي، وراء البوابة ـ وذهبتُ إلى البيت الأخضر.

ـ أيّ بيت أخضر؟

سقط آخر رماد السيجارة بين ثدييها فأبعدَتْهُ بالنفخ قليلًا، ثمّ زفرت بعد ذلك. سيكون عليّ تنظيف السيّارة لأنّ زوجي لا يتوقّف عن الكلام في هذه الأمور.

«نذهب إلى هناك أحيانًا، نحن الذين نعيش هنا، لأنّنا نعرف أنّ أولئك الأطبّاء الذين ينادون المرضى من قاعة الانتظار لا يأتون إلّا بعد عدّة ساعات، وهم لا يعرفون شيئًا، ولا يستطيعون عمل أيّ شيء. فإذا

كانت الحالة حرجة، نذهب إلى حيث «امرأة البيت الأخضر»، تقول كارلا.

تترك نينا دبدوبها فوق المنشفة، على كرسيّ الشاطئ المفتوح. تخطو بضع خطوات أخرى في اتّجاه المسبح الصغير، فأستوي في المقعد متأهّبة. تنظر كارلا أيضًا، ولكن يبدو أنّ الوضع لا يمثّل أيّ خطر في نظرها. تقرفص نينا، وتجلس على الحافّة، وتُنزل قدميها في الماء.

ـ ليستْ منجّمة، إنّها توضّح ذلك دومًا، لكنّها تستطيع رؤية طاقة الناس؛ تستطيع قراءتها.

ـ كيف تستطيع «قراءتها»؟

ـ تستطيع أن تعرف إذا كان أحدهم مريضًا، وفي أيّ مكان من جسمه توجد الطاقة السلبيّة. تُشفي آلام الرأس، وحالات الغثيان، وقروح الجلد، وتقيّؤ الدم. وتوقف كذلك حالات الإجهاض التلقائيّ إذا وصلت في الوقت المناسب.

ـ أتوجد حالات إجهاض تلقائيّ كثيرة؟

ـ تقول إنّ ذلك كلّه طاقة.

ـ كانت جدّتي تقول هذا دومًا.

ـ ما تفعله هو أنّها تكتشف الحالة، وتُوقفها إذا كانت سلبيّة، وتحرّضها إذا كانت إيجابيّة. يستشيرونها كثيرًا هنا في القرية، ويأتيها في بعض الأحيان أناسٌ من خارجها. الأبناء يعيشون في البيت الخلفيّ. لديها سبعة أبناء، جميعهم ذكور. يهتمّون بها وبكلّ ما تحتاج إليه،

ولكنّهم يقولون إنّهم لا يدخلون البيت أبدًا. أتريدين أن نذهب إلى حوض السباحة، حيث نينا؟

ـ لا، لا تقلقي.

«نينا!» تناديها كارلا، وتنتبه نينا، عندئذ فقط، إلى أنّنا في السيّارة.

ثمّ تبتسم نينا. إنّ لها ابتسامة إلهيّة، وغمّازتين، ويتجعّد أنفها قليلًا. تنهض، تلتقط دبدوبها عن كرسيّ الشاطئ المفتوح وتركض في اتّجاهنا. تتراجع كارلا إلى الوراء كي تفتح لها الباب الخلفيّ. إنّها تتحرّك في مقعد السائق بكثير من التلقائيّة، بحيث يبدو من الصّعب تصديق أنّها المرّة الأولى التي تصعد فيها إلى سيّارة.

ـ ولكنْ، عليّ أن أدخّن يا أماندا. متأسّفة من أجل نينا، لأنّني لا أستطيع إنهاء هذا الحديث من دون سيجارة أخرى.

أقوم بحركة عدم مبالاة، وأقدّم إليها علبة السجائر مرّة أخرى.

«انفثي الدخان خارجًا»، أقول، بينما تتسلّق نينا المقعد الخلفيّ.

ـ مامي.

«ماذا يا بدينتي؟»، تقول لها كارلا، لكن نينا تتجاهلها.

ـ مامي، متى سنفتح علبة مصّاصات السكاكر؟

تجلس نينا المدرّبة على يد أبيها، وتضع حزام الأمان.

ـ بعد قليل.

«أوكي»، تقول نينا.

«أوكي»، تقول كارلا، وأنتبه عندئذ فقط إلى أنّه لم يبق في قصّتها شيءٌ من كلّ الدراما السّابقة للبدء برواية القصّة. لم تعد تبكي، ولا

تسند رأسها إلى المقود. تروي قصّتها من دون استياء من المقاطعات، كما لو أنّ لديها كلّ ما في الدنيا من وقت، وأنّها تستمتع بعودتها إلى ذلك الماضي. إنّني أتساءل، يا دافيد، عمّا إذا كنتَ قد تبدّلتَ كثيرًا بالفعل، وإذا كانت رواية كارلا لكلّ شيء مرّة أخرى لا تعيدها بصورة آنية إلى ذلك الابن الآخر الذي تقول إنّها تشتاق إليه كثيرًا.

ـ ما إن فتحتْ لي المرأة الباب حتّى وضعتُ دافيد بين ذراعيها. لكنّ أولئك الناس، فضلًا عن كونهم باطنيّين، فإنّهم شديدو الرصانة. وهكذا، وضعتِ المرأةُ دافيد على الأرض، وقدّمت إليّ كأس ماء، ولم تشأ البدء بالكلام ما لم أهدأ قليلًا. أعادت كأس الماء شيئًا من الرّوح إلى بدني. صحيح أنّني قدّرت للحظة أنّه يمكن لمخاوفي أن تكون جنونًا، لكنْ فكّرتُ في احتمالات أخرى قد تكون السّبب في مرض الحصان. نظرتِ المرأةُ بتمعّن إلى دافيد الذي راح يلهو بترتيب بضع دمًى تزيينيّة صغيرة كانت على منضدة التلفزيون. اقتربتْ منه ولعبتْ معه لحظة. درستْه باهتمام، وخفية، فكانت تضع في إحدى اللّحظات يدَها على كتفيه، أو تسند ذقنه كي تنظر جيّدًا إلى عينيه. «لقد مات الحصان»، قالت المرأة، ولم أكن قد قلت أيّ شيء بعدُ عنه، أقسم لك. قالت إنّه لم يبقَ أمام دافيد سوى بضع ساعات، ربّما تصل إلى يوم واحد، لكنّه سيكون في حاجة عاجلة إلى مساعدة تنفّسيّة. «إنّها حالة تسمّم»، قالت، «ستنقضّ على قلبه». ظللتُ أحدّق فيها، حتّى إنّني لا أتذكّر كم من الوقت بقيت هناك، متجمّدة، من دون قدرة على قول أيّ شيء. قالت المرأة عندئذ شيئًا رهيبًا؛ شيئًا اسوأ من إخبارك: كيف سيموت ابنك.

«ماذا قالت؟»، سألتها نينا.

فقلت لها:

- هيا اذهبي، افتحي علبة مصّاصات السكاكر.

انسلّت نينا من حزام الأمان، وتناولتْ الدبدوب وخرجت راكضة نحو البيت.

- قالت لي المرأة إنّ جسم دافيد لن يقوى على مقاومة التسمّم، وإنّه سيموت، ولكن يمكن لنا أن نحاول إجراء عمليّة نزوح.

- عمليّة نزوح؟

أطفأت كارلا السيجارة من دون أن تُنهيها، وتركت ذراعها ممدودةً، وشبه معلّقة بالجسد، كما لو أنّ مسألة التدخين كلّها قد خلّفتها منهَكة تمامًا.

- إذا ما نقلنا روح دافيد، في الوقت المناسب، إلى جسد آخر، فإنّ جزءًا من التسمّم أيضًا سيذهب عندئذ مع الرّوح. وبانقسام السّم إلى قسمين، سيكون هنالك احتمال بتجاوز مفعوله. الأمر غير مؤكّد، ولكنّه ينجح أحيانًا.

- كيف ينجح أحيانًا؟ هل جرّبته في مرّات أخرى سابقة؟

- كانت تلك هي الطريقة الوحيدة المتوافرة للحفاظ على دافيد. قدّمتْ المرأة إليّ شايًا، قالت إنّ شربه ببطء سيهدّئ روعي، وسيساعدني على اتّخاذ قراري، لكنّني شربته برشفتين اثنتين. لم يكن في إمكاني مجرّد ترتيب ما كنت أسمعه. كان رأسي شبكة مختلطة من الإحساس بالذنب والرّعب، وكان جسدي يرتجف بكامله.

ـ ولكنْ... هل تؤمنين أنت بهذه الأمور؟

ـ تعثّر عندئذ دافيد، أو بعبارة أدقّ، بدا لي أنّه قد تعثّر، وتأخّر في النهوض. رأيته من الخلف بقميصه المفضّل والمزيّن برسم جنود صغار، وكان يحاول تنسيق حركة ذراعيه كي ينهض. كانت حركة خرقاء وغير مجدية، ذكّرتني بحركات كان يحاولها قبل بضعة شهور، عندما بدأ يتعلّم النهوض بنفسه. لكنّه جهد لم يعد في حاجة إليه الآن، فأدركت أنّ الكابوس أخذ يبدأ. كان مقطّبًا عندما التفتَ نحوي، وبملامح غريبة، كما لو أنّه يتألّم. هرعتُ نحوه واحتضنته؛ احتضنته بقوّة كبيرة يا آماندا؛ كبيرة جدًّا إلى حدّ بدا لي معها أنّه من المحال أن يستطيع أحدٌ، أو شيءٌ في العالم، انتزاعَه من بين يدي. سمعته يتنفّس، قريبًا جدًّا من أذني، وبقليل من الاضطراب. فصلت المرأة بيننا بحركة لطيفة، لكنّها حازمة. ظلَّ دافيد جالسًا وظهره إلى مسند الأريكة، وبدأ يفرك عينيه وفمه. «يجب عمل ذلك فورًا»، قالت المرأة. فسألتها إلى أين سيذهب دافيد، أعني روح دافيد، وإن كان في إمكاننا الاحتفاظ به قريبًا، وإن كان يمكن لنا أن نختار له أسرة طيّبة.

ـ لا أدري إن كنتُ أفهم يا كارلا.

ـ بلى، إنّك تفهمين يا آماندا، تفهمين تمامًا.

أريد أن أقول لكارلا إنّ كلّ ذلك همجيّة كبرى.

هذا رأيكِ أنتِ، وهو غير مهمّ.

المسألة أنّني لا أستطيع تصديق مثل هذه القصّة، ولكن في أيّ لحظة من القصّة يكون إبداء السّخط مناسبًا.

ـ قالت لي المرأة إنّها لا تستطيع اختيار أسرة معيّنة ـ قالت كارلا ـ، لا تستطيع معرفة أين سيذهب. وقالت أيضًا إنّه سيكون للنزوح نتائجه. لا يوجد متّسع في جسد واحد لروحين، ولا وجود لجسد بلا روح. عمليّة النزوح ستنقل روح دافيد إلى جسد سليم، ولكنّها ستجلب كذلك روحًا مجهولة إلى الجسد المريض. شيء من كلّ منهما سيظلّ في الآخر. لن يكون هو نفسه، ويجب أن أكون مستعدّة لقبول هيئته الجديدة.

ـ هيئته الجديدة؟

ـ ولكن، كان من المهمّ جدًّا بالنسبة إليّ أن أعرف إلى أين سيذهب يا آماندا. أمّا هي، فلا. من الأفضل عدم معرفة ذلك. فالمهمّ، في نظرها، هو تحرير دافيد من الجسد المريض. وفهم أنّني سأظلّ، حتّى من دون دافيد في هذا الجسد، مسؤولةً عن الجسد، مهما يكن ما سيحدث. ويجب عليّ أن أتحمّل مسؤوليّة هذا الالتزام.

ـ لكنّ دافيد...

ـ ولكنْ، في لحظة إعادة تقليب الموضوع، اقترب دافيد منّي وعانقني. كانت عيناه متورّمتين، وجفونه حمراء ومتوتّرة، وملتهبة مثل عينَيِ الحصان. لم يكن يبكي. كانت الدُّموع تتساقط منه من دون صراخ، ومن دون أن يرمش. كان ضعيفًا ومرعوبًا. قبّلتُ جبهته، ولاحظتُ أنّ حرارته محلّقة... محلّقة، يا آماندا. لا بدّ من أنّ ابني دافيد في تلك اللّحظة كان يرى الجنّة.

تتشبّث أمّك بالمقود ويظلّ نظرها مصوّبًا إلى بوّابة بيتي. إنّها تفقدك مرّة أخرى: لقد انتهى الجزء السّعيد من القصّة. عندما تعرّفتُ

إليها قبل عدّة أيّام، ظننتُ أنّها هي أيضًا، مثلي أنا، تستأجر بيتًا بصورة موقّتة، بينما يعمل زوجها في مناطق قريبة.

ما الذي جعلك تظنّين أنّها هي أيضًا ليست من القرية؟

ربّما لأنّني كنت أراها شديدة التكلّف ببلوزاتها الملوّنة وبعقيصة شعرها الكبيرة على رأسها، ولأنّها لطيفة جدًّا، ومختلفة وغريبة عن كلّ ما يحيط بها. يقلقني الآن أنّها تبدأ بالبكاء من جديد، وأنّها لا تغادر سيّارة زوجي، وأنّ نينا وحدها تجول في البيت. كان عليّ أن أطلب من نينا الرّجوع إلى السيّارة بعد أن تأخذ مصّاصة السكاكر. ولكن لا، من الأفضل أن تبقى بعيدة، فهذه القصّة لا علاقة لها بنينا. وأقول:

ـ كارلا!

ـ قلتُ للمرأة أجل، فلتفعل ذلك. فلنفعل ما يجب فعله. وقالت لي إنّ علينا الذهابَ إلى حجرة أخرى. حملتُ دافيد، وقد انهار عمليًّا على كتفي. كان ساخنًا جدًّا، ومتورّمًا جدًّا، إلى حدّ بدا لي معه غريبًا عند تلمُّسه. فتحتِ المرأة حجرةً؛ الحجرةَ الأخيرة في نهاية الممرّ. وأومأت إليّ بأن أنتظر عند العتبة ودخلتْ هي. كانت الحجرة مظلمة ولم أكد أتمكّن، من الخارج، من رؤية ما تفعله. وضعتْ طستًا كبيرًا وواطئًا في منتصف الغرفة. أدركتُ ذلك عندما سمعتُ صوت الماء الذي سكبته أوّلًا من دلو. خرجتْ في اتّجاه المطبخ ومرّتْ مركزة إلى جوارنا، ورجعتْ في منتصف الطريق، ونظرتْ لدقيقة إلى دافيد. نظرتْ إلى جسده، كما لو أنّها تريد أن تحفظ شكله في ذاكرتها، أو ربّما مقاساته. ثمّ رجعتْ ومعها كُبّةٌ من خيوط القنّب ومروحة يدويّة، ودخلتْ مرّة أخرى الغرفة. كان دافيد يغلي إلى حدّ أنّ رقبتي وصدري

كانا مبلَّلين عندما انتزعتْهُ منّي. كانت حركة سريعة، خرجت يداها، عمليًا، من ظلام الحجرة وعادتا للاختفاء مع دافيد. كانت تلك هي آخر مرّة أحمله فيها بين ذراعَيّ. خرجت المرأة مرّة أخرى، من دون دافيد. اقتادتني إلى المطبخ وقدّمت إليّ شايًا من جديد. قالت إنّ عليّ أن أنتظر هناك. وإنّني إذا تحرّكت عبر البيت فقد تتحرّك أشياء أخرى، دون إرادتي. أشياء يجب ألّا تتحرّك. ففي أثناء عمليّة النزوح، قالت، يجب ألّا يتحرّك سوى ذاك المهيّأ للذهاب. فتشبّثتُ جيّدًا بفنجان الشاي وأسندتُ رأسي إلى الجدار. ابتعدتِ المرأة في الممرّ من دون أن تقول أيّ شيء آخر. لم ينادني دافيد في أيّ لحظة، ولم أسمعه يتكلّم أو يبكي. سمعت إغلاق باب الحجرة بعد قليل، بعد نحو دقيقتين. ورأيتُ أمامي، على رفٍّ في المطبخ، الأبناءَ السبعة، وقد صاروا رجالًا، ينظرون إليّ طوال ذلك الوقت من إطار صورة كبير. عراة من الخصر إلى أعلى، حُمر تحت الشمس، يبتسمون وهم ينحنون على ركبهم، ووراءهم، حقلُ صويا فسيحٌ قد حُصد حديثًا. انتظرتُ، في هذه الحال، من دون حراك، لوقت طويل؛ نحو ساعتين، هكذا أُقدِّر، من دون أن أشرب الشاي ومن دون أن أزيح رأسي أبدًا عن الجدار.

ـ هل سمعتِ شيئًا طوال ذلك الوقت؟

ـ لا شيء. صرير فتح الباب فقط عندما انتهى كلّ شيء. رفعت رأسي، ووضعت الشاي جانبًا. جسدي كلّه كان مستنفرًا، ولكنّني لم أتشجّع على النهوض. لم أكن أدري إن كان في إمكاني فعل ذلك. سمعت وقع خطواتها، فقد صرت أعرفها، ولكن لا شيء أكثر. توقّفت الخطوات في منتصف الطريق، لم يكن في إمكاني رؤيتها بعد. ونادته

عندئذ. «هيا يا دافيد»، قالت، «سآخذك إلى أمّك». تشبّثتُ بحافّة الكرسيّ. لم أكن أريد رؤيته، يا آماندا. ما كنت أريده هو الهروب. تساءلتُ، بصورة يائسة، إن كان في إمكاني الوصول إلى بوابة الخروج قبل أن يصلا إلى المطبخ. لكنّني لم أستطع التحرّك. سمعت عندئذ وقع خطواته، خفيفة جدًّا، على خشب الأرضيّة؛ قصيرة وغير مطمئنة، ومختلفة جدًّا عن خطوات دافيدي. وكانت تنقطع بعد كلّ أربع أو خمس نقلات. وكانت خطواتها هي أيضًا، عندئذ، تتوقّف وتنتظره. لقد صارا في المطبخ تقريبًا. يده الصغيرة، وهي متّسخة الآن بطين ناشف أو تراب، تلمّستِ الجدار، لتستند إليه. تبادلنا النظرات، ولكنّني أشحت بنظري عنه فورًا. دفعته هي في اتّجاهي فتقدّم بضع خطوات أخرى، متعثّرًا تقريبًا، وعاود الاستناد إلى المنضدة. أظنّ أنّني توقّفت عن التنفّس خلال هذا الوقت كلّه. وعندما عدت إلى فعل ذلك، تقدّم خطوة أخرى في اتّجاهي، بنفسه، وتراجعتُ إلى الوراء. لقد كان أحمر، شديد الحمرة، ويتعرّق. وكانت قدماه مبلّلتين والآثار البخاريّة لمسيره قد بدأت تجفّ.

ـ ولمْ تحتضنيه يا كارلا؟ ألمْ تضمّيه؟

ـ ظللتُ أنظر إلى يديه المتّسختين. تقدّم مستندًا بهما إلى حافّة المنضدة، كما لو أنّها حاجز شرفة. رأيتُ عندئذ معصميه. كان هنالك في معصميه، وأعلى منهما بقليل أيضًا، علاماتٌ على الجلد، خطوط كأساور، ربّما أحدثها خيطُ القنب. «يبدو هذا قاسيًا»، قالت المرأة وهي تقترب أيضًا، متنبهة إلى انتباهي وإلى خطوة دافيد التالية، «ولكن يجب التأكّد من أنّ الرّوح وحدها هي التي تذهب». داعبتْ معصميه، ثمّ قالت كما لو أنّها تغفر لنفسها: «يجب أن يبقى الجسد». وتثاءبتُ، فانتبهتُ

إلى أنّها كانت تتثاءب منذ عودتها إلى المطبخ. قالت إنَّ ذلك بتأثير عمليّة النزوح، وإنّه سيحدث له هو أيضًا، عندما يستيقظ تمامًا، إذ يجب إخراج كلّ شيء. التثاؤب بفم مفتوح على اتّساعه، هو «إطلاق الخروج».

«وماذا عن دافيد؟»، سألتها.

أزاحت المرأة جانبًا الكرسيّ الذي كان إلى جانبي، وأشارت متوجّهة إلى دافيد كي يجلس.

ـ وأنتِ؟ لم تحاولي مجرّد لمسه؛ ذلك المسكين الصغير؟

ـ راحت المرأة تسكب بعد ذلك مزيدًا من الشاي، بينما هي تنظر إلينا بمداراة، متيقّظة للقائنا. صعد دافيد إلى الكرسيّ بمشقّة، لكنّني لم أستطع مساعدته. ظلَّ ينظر إلى يديه. «يجب أن يتثاءب سريعًا»، قالت المرأة وهي تتثاءب بعمق، مغطيةً فمَها. جلستْ إلى المنضدة أيضًا، مع شايها، وظلّتْ تنظر إليه بانتباه. سألتها كيف جرى كلّ شيء، فقالت: «أفضل ممّا هو متوقّع». لقد نقل النزوح جزءًا من التسمّم، وسوف يخسر المعركة بانقسام السمِّ الآن بين جسدين.

ـ ماذا يعني هذا؟

ـ يعني أنّه يمكن لدافيد أن ينجو؛ جسد دافيد، وكذلك دافيد في جسده الجديد.

أنظر إلى كارلا، وكارلا تنظر إليّ أيضًا، بابتسامة زائفة بصورة مكشوفة، مثلَ مهرّج. تربكني للحظة وتجعلني أظنّ أنَّ كلَّ شيء مجرّد نكتة طويلة ورديئة، لكنّها تقول:

ـ هذا، إذن، هو دافيدي الجديد؛ هذا المسخ.

ـ لا تزعلي منّي يا كارلا، ولكن يجب أن أعرف ما الذي تفعله نينا.

توافق بهزّ رأسها وتعود إلى النظر إلى يديها فوق المقود. أتحرّك تأهّبًا للخروج من السيّارة، ولكن لا يبدو عليها أنّها ستلحق بي. أتردّد لحظة، ولكن لا يحدث أيّ شيء. أشعر الآن بالقلق حقًّا على نينا. كيف يمكن لي قياس مسافتي لإنقاذها إذا كنت لا أعرف أين هي ابنتي. أخرج وأمشي في اتّجاه البيت. هنالك شيء من التسرّع، أشعر به في ظهري وفي ساقيّ المتعرّقتين من المقعد. وأرى، في الحال، نينا من خلال الزجاج؛ أراها تسحب كرسيًّا من غرفة المعيشة إلى المطبخ، بدفعه من الخلف. كلّ شيء طبيعيّ، أفكّر، لكنّني أواصل التقدُّم نحو البيت. كلّ شيء على ما يرام. أصعد درجات المدخل الثلاث، وأفتح الباب ذا الشبكة الناموسيّة، وأدخل وأغلقه. أسحب رتاج القفل، فأنا أفعل ذلك دومًا، بصورة غريزيّة. أدير وجهي نحو الشبكة الناموسيّة، وأظلّ أنظر إلى السيّارة؛ إلى عقيصة الشعر الحمراء التي تطلّ فوق مقعد السائق، متيقّظة لأيّ حركة.

سمّتكَ «مسخًا»، وقد ظللت أفكّر في هذا أيضًا. لا بدّ من أن يكون محزنًا أن يكون المرء مثلما أنت عليه الآن، وأن تدعوك أمّك فوق ذلك: «مسخًا».

ـ أنت مخطئة، وهذا الخطأ ليس جيّدًا لهذه القصّة. إنّني صبيّ طبيعيّ.

هذا غير طبيعيّ، يا دافيد. لا يوجد سوى ظلام، وأنت تكلّمني في مسمعي. بل إنّني لا أعرف إذا كان هذا يحدث حقًّا.

إنّه يحدث، يا آماندا. فأنا أجلس القرفصاء عند حافّة سريرك، في إحدى حجرات قاعة الطوارئ. لدينا قليل من الوقت، وقبل أن ينتهي الوقت علينا أن نجد النقطة الدقيقة.

وماذا عن نينا؟ إذا كان هذا كلّه يحدث، فأين هي نينا؟ رباه، أين هي نينا.

هذا ليس مهمًا.

هذا هو الشيء الوحيد المهمّ.

ليس مهمًا.

يكفي، يا دافيد، لا أريد أن أواصل.

إذا لم نتقدّم نحن، فلا معنى لمواصلة مرافقتي لكِ. سوف أذهب، وستظلّين وحيدة.

لا، أرجوك.

ما الذي حدث، إذن، الآن، في الحديقة؟ إنّك عند باب البيت، وجبهتك تستند إلى شبكة الناموسيّة.

أجل.

وماذا؟

تتحرّك عقيصة شعر كارلا قليلًا وراء مقعد السيّارة، كما لو أنّها تتطلّع إلى جانبيها.

ماذا أيضًا؟ ما الذي يحدث أيضًا في هذه اللّحظة بالذات؟

أنقل ثقل جسدي من ساق إلى الأخرى.

لماذا؟

لأنّ ذلك يريحني؛ لأنّني أشعر في الفترة الأخيرة بأنّ بقائي واقفةً يتطلّب جهدًا عظيمًا. قلت هذا ذات مرّة لزوجي، فقال إنّني ربّما أكون مكتئبة قليلًا. كان ذلك قبل أن تولد نينا. الشعور الآن هو نفسه، ولكنّه لم يعد الأكثر أهمّيّة. إنّني متعَبة قليلًا فقط، هذا ما أقوله لنفسي. ويفزعني في بعض الأحيان التفكير في أنّه يمكن للمشاكل اليوميّة أن تكون بالنسبة إليّ أشدّ رهبة بقليل ممّا هي بالنسبة إلى سائر الناس.

وماذا يحدث بعد ذلك؟

تقترب نينا وتحتضن ساقيّ.

- ماذا حدث يا ماما؟

- هسس.

تفلتني وتلتصق أيضًا بشبكة الناموسيّة. ينفتح عندئذ باب السيّارة. تُخرج كارلا إحدى ساقيها ثمّ تُخرج ساقها الأخرى. تعطيني نينا يدها. تنهض كارلا منتصبة. تتناول حقيبتها اليدوية وترتب وضع البكيني. أخشى أن تلتفت إلى هذه الجهة وتكتشفنا، لكنّها لا تفعل ذلك، بل إنّها لا تجتاز الحديقة كي تأخذ صندلها، تمشي مباشرة في اتّجاه البوابة الكبيرة حاملةً الحقيبة تحت إبطها. تمشي في خطّ مستقيم، كما لو أنّها تلبس ثوبًا طويلًا يتطلّب تركيزًا كبيرًا عند المشي. وعندما تصل أمّك إلى الشارع، وتختفي وراء السيّاج النباتي، تفلتني نينا. أين هي نينا الآن يا دافيد؟ أريد معرفة ذلك.

حدّثيني أكثر عن مسافة الإنقاذ.

إنّها تتبدّل، بحسب الظروف. فخلال الساعات الأولى التي أمضيناها في البيت، على سبيل المثال، كنت أريد نينا قربي طوال الوقت. كنت في حاجة إلى أن أعرف كم مخرجًا هنالك، واستكشاف أكثر مناطق الأرضيّة الخشبيّة تشظّيًا، والتأكّد ممّا إذا كان صرير الدرج يعني وجود خطر ما. أشرتُ إلى نينا بشأن تلك النقاط، وهي ليست خوّافة ولكنّها مطيعة. وكان الخيط غير المرئيّ الذي يربط بيننا يزداد طولًا من جديد، في اليوم التالي. موجود، ولكنّه أكثر تساهلًا، ويوفّر لنا أحيانًا بعض الاستقلاليّة. هل مسافة الإنقاذ مهمّة؟

مهمّة جدًا.

مشينا حتّى المطبخ، من دون أن أُفلت يد نينا. أجلستُها على مقعد ورحت أحضّر قليلًا من السَّلَطة مع التونا. تسألني نينا عمّا إذا كانت المرأة قد ذهبت، وإن كنتُ متأكّدة، وعندما أقول لها نعم، تترك يدي، وتخرج راكضة من البيت من خلال الباب المؤدّي إلى الحديقة، وتقوم بجولة حول المنزل، صارخةً وضاحكة، إلى أن تعود إلى الدخول. يأخذ ذلك منها أقلّ من دقيقة. أستدعيها وتجلس أمام طبقها، تأكل قليلًا وتخرج للقيام بجولة دوران أخرى حول البيت.

لماذا تفعل ذلك؟

إنّها عادة التصقت بها منذ وصولنا. تقوم بجولتين أو ثلاث جولات دوران مع تناول كل غداء.

هذا مهمّ جدًا، يمكن أن تكون له علاقة بالديدان.

عندما تمرّ وراء النافذة الفسيحة تُلصق وجهها بالزجاج ونتبادل الابتسامات. تروق لي طفراتُ نشاطها، لكنّ جولات دورانها في هذه

المرّة أقلقتني. وتّرت محادثتي مع كارلا الخيطَ الذي يربط بيننا، وعادت مسافة الإنقاذ إلى التقلُّص. كم هو مدى اختلافكَ الآن عن دافيد الذي كان قبل ست سنوات؟ أيَّ أشياء فظيعة فعلتَها وجعلت أمّك تتخلّى عن تقبُّلك ابنًا لها؟ هذه هي الأمور التي لا أتوقّف عن التساؤل عنها.

لكنّها ليست الأمور المهمّة.

عندما تُنهي نينا تناول السَّلَطة سنذهب معًا إلى السيّارة، حاملَين معنا الأكياسَ الفارغة من أجل المشتريات. هي ستجلس في الخلف. ستضع حزام الأمان وتبدأ بتوجيه الأسئلة. تريد أن تعرف إلى أين ذهبت المرأة بعد أن نزلت من السيّارة. تريد أن تعرف من أين سنشتري الطعام، وإذا كان يوجد في القرية مزيدٌ من الصِّبْية، وإذا كان في إمكانهم لمسُ الكلاب، وإن كانت الأشجار التي تُرى حول البيت جميعها لنا. ثمّ تقول هذا وهي تضع حزام الأمان للدبدوب، إنّها تريد أن تعرف، قبل كلّ شيءٍ، إذا كان الناس هنا أيضًا يتكلّمون لغتنا. منفضة السجائر في السيّارة نظيفة والنوافذ مغلقة. أُنزلُ زجاج النافذة التي إلى جانبي، وأتساءل في أيّ لحظة كلّفت كارلا نفسها بهذه المهمّة المزعجة. يدخل هواء بارد مع أشعّة الشمس التي صارت تلسع بقوّة. نمضي ببطء وهدوء. هكذا أُحبّ المضيّ، لكنّ هذا مستحيل عندما يقود السيّارةَ زوجي. هذا وقت قيادتي أنا؛ حين أكون في إجازة، أتجنّب حفر الأنقاض والتراب بين المزارع في نهاية الأسبوع وبين البيوت المحليّة. في المدينة، لا أستطيع قيادة السيّارة. ففيها أصير عصبيّة. قلتَ إنّ هذه التفاصيل مهمّة.

أجل.

اثنتا عشرة كوادرا تفصلنا عن المركز، وكلّما اقتربنا تصبح البيوت أكثر بؤسًا وأصغرَ حجمًا، وتصارع من أجل شغل مكانها، بلا حدائق تقريبًا وبأشجار أقلّ. الشارع الأوّل المعبّد بأسفلت هو الجادّة التي تخترق المركز من أقصاه إلى أقصاه، نحو عشر كوادرات. إنّه طريق أسفلتيّ، أجل، ولكنّ فيه كمّيّاتٍ من التربة، بحيث لا يكاد الإحساس يتبدّل لمن هو في السيّارة. إنّها المرّة الأولى التي نقوم بها بهذه الجولة، وأعلّق مع نينا بأنّه من الجيّد أنّ لدينا الفترةَ المسائيّة كلّها للقيام بالمشتريات والتفكير فيما سنتناوله عند العشاء. هنالك سوق ريفيّة صغيرة للمواد الغذائيّة في الساحة الرئيسيّة. نترك السيّارة كي نمشي قليلًا.

«فلنتركِ الدبدوب في السيّارة»، أقول لنينا.

فتقول لي «أجل، سيادتك»، لأنّه يروق لنا أحيانًا أن نتبادل الحديث بطريقة دبلوماسيّة، كما تفعل السيّدات الثريّات.

«ما رأيك، يا مدام، في قليل من المكسّرات المحلّاة؟»، أسألها وأنا أساعدها على النزول من السيّارة.

«تبدو لنا فكرة مثاليّة»، تقول نينا، مقتنعة على الدوام بأنّ حوار السادة الأكابر يكون بصيغة الجمع.

تروق لي مسألة الجمع.

إنّها سبعة أكشاك بيع مرتجلة من ألواح خشبيّة فوق حوامل، أو قطع قماش مشمّع على الأرض. ولكن المأكولات لذيذة، وهي من المزارع أو من المنتوجات المصنّعة. اشترينا فواكه وخضارًا وعسلًا.

ونصحنا السيّد خيسيير بمخبز يصنعون فيه أصنافًا من خبز القمح الكامل ـ ويبدو أنها مشهورة في القرية ـ. ذهبنا إلى هناك أيضًا. اشترينا ثلاثة أرغفة خبز، من أجل ملء بطوننا جيّدًا. والعجوزان اللذان يقومان بالخدمة أهديا نينا قطعةً من حلوى كرة الراهب محشوّةً بالكريما، وقد سالت دموعهما تقريبًا من الضحك حين تذوّقتها، وقالت «يا للذّة الإلهيّة! إنّها تفتننا!». سألنا أين يمكننا الحصول على دمية قابلة للنفخ من أجل بركة السباحة، فشرحا لنا كيف نصل إلى متجر «كاسا أوغار». يجب الذهاب إلى الجهة الأخرى من الجادة الرئيسيّة، نحو ثلاثة شوارع في اتّجاه البحيرة. تركنا المشتريات في السيّارة وذهبنا مشيًا، لأنّ لدينا فائضًا من الطاقة. اختارت نينا دلفينًا. إنّه النموذج الوحيد المتوافر، في «كاسا أوغار»، ولكنّها أشارت إليه بلا تردُّد، واثقة بقرارها. وابتعدت عنّي، بينما أنا أدفع. إنّها في مكان ما خلفي، تمشي بين رفوف معروضات الأدوات الكهربائيّة ومستلزمات الحدائق. لا أراها، ولكن الخيط يتوتّر، ويمكن لي أن أحزر بسهولة أين تمضي.

«أتريدين أيّ شيء آخر؟» تسألني المرأة التي على الصندوق.

تقاطعنا صرخة حادّة. ليست صرخة طفلة، كان هذا هو أوّل ما فكّرت فيه. إنّها صرخة حادّة ومتقطّعة، كما لو أنّ طائرًا يحاكي صوت صبيّ. تأتي نينا راكضة ومذعورة، تتشبّث بساقيّ، وتظلّ تنظر إلى نهاية الممرّ. تزفر موظّفة الصندوق مستسلمة وتقوم بالدوران كي تخرج من وراء منضدة الكونتوار. تشدّ نينا يدي كي تتبع المرأة عبر الممرّ نفسه، وإلى الأمام. تسند المرأة قبضتيها على وركيها، لإظهار أنّها مستاءة.

ـ ماذا قلتُ لك؟ ما الذي تكلّمنا فيه يا أبيغايل؟

تكرّرت الأصوات، متقطّعة، ولكنّها أكثر انخفاضًا بكثير. أصوات شبه خجولة، خائفة في النهاية.

ـ هيا، تعالي.

وتشدّ المرأةُ اليدَ نحو الممرّ الآخر، وعندما التفتت نحونا كانت يدٌ صغيرة ترافقها. طفلة راحت تظهر ببطء. أفكّر في أنّها ما زالت تلعب، لأنّها تعرج كثيرًا إلى حدّ تبدو معه أشبه بقرد، ولكنّني أرى أن إحدى ساقيها قصيرة جدًّا، كما لو أنّها تكاد لا تمتدّ إلى ما تحت الركبة، ولكن لها قدمًا على الرّغم من ذلك. رأينا جبهتها عندما رفعتْ رأسها لتنظر إلينا. جبهة هائلة تشغل أكثر من نصف رأسها. تشدّ نينا على يدي وتضحك ضحكة عصبيّة. فكّرتُ: من المناسب أن ترى نينا هذا. من الملائم أن تعرف أنّنا لا نولد جميعنا متشابهين، وأن تتعلّم ألّا تخاف. لكنّني كنت أفكّر، في سرّي، فيما لو كانت تلك ابنتي لما عرفت ماذا أفعل. إنّه شيء رهيب. وجاءت قصّة أمّكَ إلى خاطري. أفكّر فيك، أو بدافيد الآخر؛ دافيد الأوّل الذي تنقصه إصبع. وأفكّر: إنّما هذا أسوأ. أنا لن أجد القوّة. لكنّ المرأة تأتي نحونا وهي تجرّ الصغيرة بصبر. تنظّف لها رأسها الذي بلا شعر، كما لو أنّ عليه غبارًا، وتكلّمها بعذوبة في أذنها. تقول لها شيئًا عنّا لا يمكننا سماعه. أتعرف تلك الطفلةَ يا دافيد؟

أجل، أعرفها.

أهنالك جزء منك في ذلك الجسد؟

هذه من قصص أمّي. لا أنت ولا أنا لدينا وقت لهذا. إنّنا نبحث عن ديدان؛ عن شيء شبيه جدًّا بالديدان، وعن النقطة الدقيقة التي تلامس بها جسدك أوّل مرّة.

«من هي هذه يا ماما؟» تقول نينا.

لم تعد هنالك معاملة أرستقراطيّة. وعندما تصبحان قريبتين منّا، تتراجع نينا بضع خطوات إلى الوراء، تريد أن نبتعد. نُفسح الطريق باستنادنا إلى الأفران. للطفلة طولُ قامة نينا، ولكن لا يمكن تحديد عمرها. أظنّ أنّها أكبر سنًّا. ربّما هي في مثل عمركَ.

لا تضيّعي الوقت.

لا بدّ لأمّك من أن تعرف هذه الطفلة؛ هذه الطفلةَ وأمّها، وأن تعرف القصّة كلّها. هذا ما أفكّر فيه. وأواصل التفكير فيها عندما تنعطف المرأة وراء منضدة الكونتوار، وتختفي الطفلة وراء المنضدة لأنّها قصيرة القامة. تضغط المرأة زرّ صندوق التسجيل وتعطيني النقود المتبقية مع ابتسامة كئيبة. تفعل هذا كلّه بكلتا يديها: يد للضغط على الزرّ، والأخرى لنقودي. وهكذا، مثلما تساءلتُ قبل لحظة، كيف يمكن لها أن تمسك هذه الطفلة بيدها، أتساءل الآن كيف يمكن لها أن تفلتها، وأتلقّى بقيّة النقود شاكرةً عدّة مرّات، بإحساس بالذنب وتأنيب الضمير.

ثمّ ماذا؟

نعود إلى البيت ونينا نَعْسى. نوم قيلولة في وقت متأخّر ليس بالأمر الجيّد، لأنّها ستجد صعوبة في النوم، فيما بعد، في اللّيل. ولكنّنا في إجازة، لهذا نحن هنا، أذكّر نفسي كي أسترخي قليلًا. وتنام نينا بعمق على أريكة غرفة المعيشة، بينما أنا أرتّب المشتريات. أعرف نومها، إذا لم يوقظها شيء مفاجئ، يمكن لها أن تظلّ، على هذه الحال،

ساعةً أو ساعتين. أفكّر عندئذ في البيت الأخضر، وأتساءل كم تُراه يكون بعيدًا. البيت الأخضر هو بيت المرأة التي عالجتكَ يا دافيد.

أجل.

التي أنقذتك من التسمُّم.

ليس مهمًّا.

كيف لا؟ هذه هي القصّة التي نحتاج إلى فهمها.

لا، هذه ليست القصّة، هذا لا علاقة له بالنقطة الدقيقة المضبوطة. حذارِ من السهو.

إنّني في حاجة إلى تقدير مدى الخطر. يكون صعبًا حسابُ مسافة الإنقاذ من دون هذا القياس. فمثلما فعلتُ لدى وصولي بتفحُّصي البيتَ ومحيطه، أحتاج الآن إلى رؤية البيت الأخضر، وفهم خطورته.

متى بدأتِ قياس مسافة الإنقاذ هذه.

إنّه شيء ورثته عن أمّي. «أريدُكِ قريبة منّي»، هذا ما كانت تقوله لي، وتضيف: «فلنحافظ على مسافة الانقاذ».

لا أهمّيّة لأمّك، تابعي.

إنّني أبتعد الآن عن البيت. كلّ شيء سيكون على ما يرام، أفكّر، واثقة بأنّ المشي لن يستغرق أكثر من عشر دقائق. تنام نينا بعمق وتعرف أن تستيقظ بمفردها وتنتظرني هادئة، هذا ما نفعله في البيت، عندما أنزل دقيقة من أجل الشراء في الصباح. أمشي للمرّة الأولى في اتّجاه معاكس للبحيرة، نحو البيت الأخضر. «عاجلًا أو آجلًا

سوف يحدث أمر خبيث»، هذا ما كانت تقوله أمّي، وتضيف: «وعندما يحدث، أريدك أن تكوني قريبة منّي».

لا أهمّية لأمّك.

تروق لي رؤيةُ البيوت والمزارع؛ رؤيةُ الريف. أظنّ أنّني أستطيع المشي في هذه الحال ساعات.

هذا ممكن. أنا أفعل ذلك في اللّيالي.

وهل تسمح لك كارلا بذلك؟

من الخطأ الحديث الآن عنّي. أخبريني كيف تمشين أنت؟

أمشي مسرعة. يروق لي المشي عندما يصبح التنفُّس إيقاعيًا ويقتصر على الأفكار الأساسيّة: التفكير في المسير، ولا شيء سوى ذلك.

هذا جيّد.

أتذكّر حركة يدِ كارلا في السيّارة. قالت «نحن الذين نعيش هنا نخرج في اتّجاه الجهة الأخرى». وامتدّت الذراع إلى يمينها، وأبقت اليدُ السيجارةَ على مستوى الفم. السيجارة تؤكّد الإشارة إلى الاتّجاه. للبيوت في ذلك الجانب رقعةُ أرض أوسع بكثير. حتّى إنّ بعضها مزروعٌ. وتمتدّ حصص الأرض متطاولةً حتّى مسافة نصف هكتار. بعضها، وهو قليل، مزروعٌ بالقمح ودوار الشمس، وجميعها تقريبًا مزروعة صويا. وباجتياز بعض قطع الأراضي الأخرى، وراء صفّ طويل من أشجار الحور، ينفتح إلى اليمين طريق أضيق يرافق جدولًا صغيرًا، لكنّه عميق.

أجل.

تطلّ على ضفّة الجدول بضعةُ بيوت أكثر بؤسًا، متراصّة ما بين خيط الماء النّحيل والقاتم وسياج السلك الشائك لقطعة الأرض الأخرى المحاذية. وبيت قطعة الأرض ما قبل الأخيرة مطليٌ بالأخضر. اللّون ذاوٍ، ولكنّه ما زال يبدو قويًا، فريدًا في المشهد. أتوقّف لثانية، ويخرج كلب من بين الأعشاب الطويلة.

هذا مهمّ جدًّا.

لماذا؟ إنّني في حاجة إلى أن أفهم أيّ الأمور هي المهمّة، وأيُّها ليس كذلك.

- ما الذي يحدث للكلب؟

يتنفّس لاهثًا ويهزّ ذيله. تنقصه إحدى قائمتيه الخلفيّتين.

أجل، هذا مهمّ جدًّا. لهذا علاقة كبيرة بما نبحث عنه.

أجتازُ الشارع. أنظر، للحظة، وأواصل في اتّجاه البيوت. لا يوجد أحد في مجال النّظر. أرجع عندئذ، لأنَّ ما هو غريب يبدو لي تحذيرًا على الدوام.

شيء ما سيحدث الآن.

أجل. عندما أصل إلى البيت أرى كارلا تنتظر عند الباب. تبتعد عن البيت بضعَ خطوات وتنظر إلى أعلى، ربّما إلى نوافذ الحجرات. إنّها ترتدي ثوبًا أحمر من قماش قطنيّ، وتظهر حمّالتا البيكّيني على الكتفين. لا تدخل البيت أبدًا. تنتظرني خارجًا، ونتبادل خارجًا

الحديث ونتلقّى أشعّة الشمس، ولكنّني إذا دخلت بحثًا عن مزيد من الليموناضة أو لأضع واقيًا من الشمس، تفضل هي البقاء خارجًا.

أجل.

إنّها تراني الآن وتنهض واقفة. تريد أن تقول لي شيئًا ولا تدري: أعليها أن تقترب أم لا. يبدو أنّها غير قادرة على تقرير ما هو أفضل. أشعر عندئذ، بوضوح مرعب، بالخيط الذي يتوتّر؛ خيط مسافة الإنقاذ غير المحدّد بدقّة.

هذا كلام يمضي مباشرة إلى النقطة الدقيقة.

تومئ كلارا بحركة. ترفع يديها كما لو أنّها لا تفهم ما الذي يحدث، ولديها إحساس مرعب بقَدَر محتوم.

«ماذا؟ ما الذي يحدث؟»، أسألُ صارخة، وأتّجه بما يشبه الركض نحوها.

- إنّه في بيتك. دافيد في بيتك.

- كيف هو في بيتي؟

تشير كارلا إلى نافذة غرفة ابنتي، في الطابق الأوّل. أرى راحة يدٍ تستند إلى الزجاج. تظهر بعد ذلك نينا باسمة. ربّما هي فوق مقعد أو فوق منضدتها، تراني وتحيّيني من وراء الزجاج. تبدو مبتهجة وهادئة، وأشعر للحظة بالامتنان لأنّ إحساسي التشاؤميّ لا يعمل بصورة صحيحة، وأنّ ذلك كلّه لم يكن سوى إنذار زائف.

لكنّه ليس كذلك.

لا، تقول نينا شيئًا لا أستطيع سماعه، وتكرّره مرّة أخرى مستخدمة يديها بانفعال كمكبّر صوت. أتذكّر عندئذ أنّني حين خرجتُ، تركت

النوافذ كلّها مفتوحة، بسبب الحَرّ. النوافذ العلويّة والسفليّة، جميعها مغلقة الآن.

«ألديك مفتاح؟» تسأل كارلا، وتضيف: «لم أستطع فتح أيٍّ من البابين».

أتقدّم نحو البيت، شبهَ راكضة، وكارلا تركض خلفي.

«علينا أن ندخل بسرعة»، تقول كارلا.

وأفكّر: هذا جنون، دافيد مجرّد صبيّ. لكنّني لا أستطيع التوقّف عن الركض. أبحث عن المفاتيح في جيوبي، وقد صرت عصبيةً إلى حدّ أنّ المفاتيح صارت في يدي، ولكنّني غير قادرة على إخراجها من جيبي.

«بسرعة، بسرعة»، تقول كارلا.

«يجب أن أبتعد عن هذه المرأة»، أقول لنفسي، وقد تمكّنتُ من إخراج المفتاح. أفتح الباب وأتركها تدخل ورائي. تتبعني عن قرب شديد. هذا هو الرّعب عينه، أن أدخل بيتًا أكاد لا أعرفه للبحث عن ابنتي بخوف أعجز معه عن مجرّد نطق اسمها. أصعد الدرج وتصعد كلارا خلفي. كم هو رهيب ما يحدث ما دامت أمّك قد تشجّعت أخيرًا على دخول البيت. وتقول:

ـ بسرعة، بسرعة.

يجب أن أُخرج هذه المرأة من بيتي. صعدنا الجزء الأوّل من السلّم بقفزتين أو ثلاث قفزات، وبعد ذلك الجزء الثاني. توجد في الممرّ غرفتان في كلّ جانب. لا أحد في الغرفة الأولى، حيث كانت نينا

تلوّح بيدها محيّية. أظلّ هناك هنيهة أكثر ممّا يجب، إذ تخطر لي فكرة أنّها قد تكون مختبئة أيضًا. ولا وجود لها كذلك، في الغرفة الثانية. أنظر في الزوايا والأمكنة غير المألوفة، كما لو أنّ ذهني، أجل، آخذٌ بالتهيّؤ لمواجهة أمر فظيع. الغرفة الثالثة هي غرفتي. ومثل الغرفتين الأخريين، بابُها مغلَق. أفتحه بسرعة، وأتقدّم بضع خطوات داخل الحجرة. إنّه دافيد. «هذا هو دافيد»، أقول لنفسي. كنتُ أراك أوّل مرّة.

أجل.

كنتَ واقفًا في منتصف الغرفة، تنظر إلى الباب، كأنّك تنتظرنا، بل ربّما كنتَ تتساءل عن سبب ذلك الهلع كلّه.

«أين نينا؟» سألتُكَ.

لم تُجبني.

قلت لك: لا أعرف أين هي نينا في هذه اللّحظة، ولا أعرفك.

«أين هي نينا؟» أكرّر صارخة.

لا يخيفك انفعالي، ولا يفاجئك. تبدو متعَبًا، ضَجِرًا. ولولا البقع البيضاء التي على بشرتك لبدوتَ صبيًّا عاديًّا ومألوفًا. هذا ما فكّرتُ فيه.

«مامي»... هذا صوت نينا.

ألتفتُ في اتّجاه الممرّ. إنّها ممسكة بيد كارلا وتنظر إليّ مرعوبة.

«ماذا حدث؟»، تقول نينا وهي تعقد ما بين حاجبيها وتوشك على البكاء.

«أأنتِ بخير؟ أأنت بخير يا نينا؟» أسألُ.

تتردّد نينا، ولكن ربّما لأنّها تراني غاضبة، مستاءةً من كارلا وكلّ جنون كارلا.

«هذا جنون»، أقول لأمّكَ، وأضيف: «أنت مجنونة تمامًا».

تفلت نينا.

«إنّك وحيدة»، أقول لنفسي. ومن الأفضل إخراج هذه المرأة بأسرع ما يمكن من البيت.

«تنتهي الحال دومًا على هذا النحو مع دافيد»، تقول كارلا، وتمتلئ عيناها بالدموع.

«دافيد لم يفعل شيئًا!»، والآن أصرخ فعلًا: «أنا من أبدو مجنونة الآن». إنّكِ أنتِ من تخيفيننا جميعًا بهذيانك عن...

أنظر إليكَ. عيناكَ حمراوان، والبشرة حول عينيكَ وفمك أكثر ورديّة بقليل.

«انصرفي»، أقول لكارلا، ولكنّني أنظر إليكَ.

- هلمّ بنا يا دافيد.

أمّك لا تنتظرك. تبتعد وتنزل الدرج. تنزل منتصبة وأنيقة بثوبها الأحمر والبكّيني الذهبيّ. أشعر بيد نينا، صغيرة وناعمة، تمسك يدي بحذر. أنت لا تتحرّك.

«اذهب مع أمّك»، أقول لك.

لا ترفض ولا تردّ. تبدو هكذا، منطفئًا. يزعجني أنّك لا تتحرّك، ولكن تزعجني كارلا الآن أكثر، وأُفَضّل النزول كي أتأكّد من أنّها ستخرج من البيت. يجب أن أفعل ذلك ببطء، منتظرة خطوات نينا التي لا تريد

أن تفلتني. تلتفت كارلا لتقول لي شيئًا، في المطبخ، قبل الخروج، لكن نظرتي تقنعها بالعدول عن ذلك، وتخرج بصمت: أهذه هي النقطة؟

لا، ليست النقطة الدقيقة.

الأمر صعب إذا لم أكن أعرف بالضبط ما هو الشيء الذي أبحث عنه.

يتعلّق الأمر بشيء في الجسد. لكنّه شيء غير محسوس تقريبًا. لا بدّ من أن يكون أحدنا يقظًا.

لهذا تصبح التفاصيل مهمّة جدًّا.

أجل، لهذا.

ولكن، كيف استطعتُ أن أسمح بأن تدخل بهذه السرعة بيننا؟ كيف أمكن لتَركي نينا بضعَ دقائق وحدها، نائمةً، أن يؤدي إلى هذه الدرجة من الخطر والجنون؟

ليست النقطة الدقيقة. يجب ألّا نضيّع الوقت في هذا.

لماذا يجب المضيّ بسرعة كبيرة يا دافيد؟ هل الوقت المتبقّي قليل إلى هذا الحدّ؟

قليل جدًّا.

ما زالت نينا في المطبخ، تنظر إليّ بارتباك، وتنزع عنها الفزع وحدها. أُقرّب منها مقعدًا كي تجلس وأُعدُّ وجبة عصرونيّة. إنّني عصبيّة جدًّا، ولكن صنع أشياء بيدي يُعفيني من تقديم تفسيرات لها، ويمنحني وقتًا للتفكير.

«هل سيتناول دافيد العصرونيّة أيضًا؟»، تسأل نينا.

أضع الماء على النار وأنظر إلى أعلى. أفكّر في عينيكَ. أتساءل إذا كنتَ لا تزال واقفًا في منتصف الحجرة.

لماذا، فهذا مهمّ حقًّا.

لا أدري. الآن، حين أفكّر في الأمر، ليس أنت مَن يخيفني.

ماذا الذي يخيفكِ؟

أتعرف أنت ما الذي يخيفني يا دافيد؟

أجل، الأمر له علاقة بالديدان، في كلّ مرّة نصبح أقرب إلى النقطة الدقيقة.

أعتدلُ في المقعد في انتباه.

لماذا، ما الذي يحدث؟

لأنّني أراكَ خارجًا، في الحديقة، ولا أفهم من أين نزلت. لقد كنتُ متنبّهة إلى الدرج طوال الوقت. تقترب من الصندل الذي تركته كارلا هناك، ترفعه، وتمشي حتّى حافّة حوض السباحة وتلقي به إلى الماء. تنظرُ إلى ما حولكَ وتجد منشفة كارلا ومنديلها، فتلقي بهما إلى الماء أيضًا. يوجد صندلي ونظّارتي بالقرب منك، تراهما، ولكنّك لا تهتمّ بهما كما يبدو. الآن، وأنت تحت الشمس، أكتشف وجود بعض البقع في جسدك لم أرَها من قبل. إنّها خفيفة، تغطّي إحداها الجانب الأيمن من الجبهة، والفمَ كلّه تقريبًا، وبقع أخرى تغطي ذراعيك وإحدى ساقيك. إنّك تشبه كارلا، وأفكّر في أنّه يمكن لك، من دون هذه البقع، أن تبدو صبيًا جميلًا حقًّا.

وماذا أيضًا؟

أهدأُ، لأنَّك تنصرف. وعندما تذهب أخيرًا، أهدأ. أفتح النوافذ، وأجلس للحظة على أريكة حجرة المعيشة. إنَّه مكان إستراتيجيّ، فمن هناك تظهر بوابة الدخول والحديقةُ والمسبح، ويمكن في الجهة الأخرى مواصلة مراقبة المطبخ. ما زالت نينا تجلس وتأكل آخر قطع البسكويت، ويبدو أنَّها تدرك أنَّ الوقت ليس مناسبًا للقيام بجولاتها النشطة حول البيت.

وماذا أيضًا؟

أتَّخذُ قرارًا. لقد أدركتُ أنَّني لم أعد أريد البقاء هنا. مسافة الإنقاذ الآن شديدة التوتُّر، بحيث لم أعد أعتقد أنَّ في إمكاني الابتعادَ أكثر من بضعة أمتار قليلة عن ابنتي. فالبيت، وما يحيط به، والقريةُ كلّها، صارت تبدو لي مكانًا غير آمن، ولا وجود لأيّ سبب للمجازفة. أعرف جيّدًا أنَّ الحركة القادمة ستدفعني إلى إعداد حقائبي والمغادرة.

ما الذي يقلقكِ؟

لا أريد قضاء ليلة أخرى في البيت، ولكن الخروج فورًا يعني قيادة السيّارة في الظلام لساعات طويلة. أقول لنفسي إنَّني مذعورة جدًّا وحسب، وإنَّ من الأفضل الراحةَ والتفكير غدًا في الأمور بهدوء أكبر. ولكنَّها ليلة رهيبة.

لماذا؟

لأنّي لا أنام جيّدًا. أستيقظ عدّة مرّات. أظنّ أحيانًا أنَّ الحجرة كبيرة جدًّا. المرّة الأخيرة التي استيقظتُ فيها كان الظلام لا يزال

مخيِّمًا. وكانت تمطر، ولكن ليس هذا ما يثير ذعري عندما أفتح عينَيّ. إنَّها الانعكاسات البنفسجيّة للمنضدة الصغيرة الموجودة إلى جانب سرير نينا. أناديها، لكنَّها لا تجيب. أغادر الفراش. أرتدي روب النهوض من السرير. نينا ليست موجودة في غرفتها، ولا في الحمام. أنزل مُمسكةً بحاجز الدرج، لأنّني ما زلت أشعر بنعاس كبير. نور المطبخ مضاء. نينا جالسة على المنضدة، أرى قدميها الصغيرتين حافيتين تتدلّيان من الكرسيّ. أفكّر إذا كانت هذه حال الصغار المسرنمين؛ إذا كان هذا هو ما تفعله أنتَ ليلًا، حين تقول كارلا إنَّها تجد سريرك خاويًا وإنَّك لست في البيت. لكن بالطبع، هذا ليس مهمًّا الآن، أليس كذلك؟

لا.

أخطو بضع خطوات أخرى في اتّجاه المطبخ، وأكتشف أنَّ زوجي يجلس في الجانب الآخر من المنضدة. إنَّها صورة مستحيلة. كيف يمكن حدوث ذلك من دون أن أسمع دخوله؟ هو يجب ألّا يعود إلّا في نهاية الأسبوع. أستند إلى العتبة. «ثمّة شيء يحدث»، أقول لنفسي، ولكنّني لا أتمكّن من الاستيقاظ بعد. إنّه يضع يديه متقاطعتين فوق المنضدة، ويميل في اتّجاه نينا وينظر إليها مقطّبًا. ثمّ ينظر بعد ذلك إليّ.

قال إنَّ لدى نينا ما تريد قوله لكِ.

لكنَّ نينا تنظر إلى أبيها، وتستنسخ حركة يديه على المنضدة. لا تقول شيئًا.

«نينا...»، ينادي زوجي.

«لستُ نينا»، تقول نينا.

يستند إلى مسند الكرسيّ ويقاطع ساقيه بطريقة لم يقاطعهما بها أبدًا من قبل.

«أخبري أمّك لماذا لستِ نينا»، يقول زوجي.

«إنّه اختبار يا سيّدة أماندا»، تقول، وتدفع علبة نحوي.

يتناول زوجي العلبة ويديرها، كي أتمكّن من رؤية البطاقة. إنّها علبة بازيلاء من ماركة لا أشتريها، ولا يمكن أن أشتريها. أكبر حجمًا من عُلبنا. ولنوع من البازيلاء أشدّ قساوة وسوءًا، وأرخص سعرًا بكثير. منتوج لا يمكن أن أختاره أبدًا لتغذية أسرتي، ولا يمكن أن تكون نينا قد أخرجت هذه العلبة من مؤونتنا. وجود العلبة على المنضدة، في مثل هذه الشاعة، أمر مثير للذعر. هذا أمر مهمّ، أليس كذلك؟

هذا مهمّ جدًّا.

أدنو منها.

«من أين خرجت هذه العلبة يا نينا؟» وكان لسؤالي وقع أشدّ حزمًا ممّا كنت أريده.

تقول نينا:

ـ لا أدري إلى من تتوجّهين بكلامك يا سيّدة أماندا.

أنظر إلى زوجي.

«مع من نتكلّم؟» يسألها مجاريًا إيّاها في اللّعبة.

تفتح نينا فمها، ولكن لا يخرج أيّ صوت. تُبقيه مفتوحًا بضعَ ثوانٍ، مفتوحًا على وسعه، كما لو أنّها تصرخ، أو ما هو عكس ذلك تمامًا، كأنّها تحتاج إلى كمّيّة هائلة من الهواء لا تستطيع أن تجدها. إنّها حركة مرعبة لم أرَها تقوم بها من قبلُ قطّ. ينحني زوجي فوق المنضدة في اتّجاهها، أكثرَ قليلًا ممّا هو عليه. أظنّ أنّه ببساطة غير قادر على تصديق ذلك. وحين تغلق نينا فمها أخيرًا، يعود هو إلى الجلوس فجأة، كما لو أنّ طيّة غير مرئيّة كانت تسنده طوال ذلك الوقت وتركته الآن يسقط.

«أنا دافيد»، تقول نينا، وتبتسم لي.

أهذه مزحة؟ أأنتِ تختلقينها؟

لا، يا دافيد. إنّه حلم؛ كابوس. أستيقظُ مضطربة، وأنا الآن متيقّظة تمامًا. إنّها الخامسة صباحًا، وسأقوم بعد دقائق بإعداد الحقائب الثلاث التي جئنا بها. سيكون كلّ شيء لديّ قد صار جاهزًا تقريبًا في الساعة السادسة. أتروق لك الملاحظات يا دافيد.

إنّها ضروريّة. تساعد على التذكّر.

إنّني أفكّر مرّة بعد أخرى في غرابة خوفي، ويبدو لي مضحكًا أن أُحمّل الأشياء في السيّارة، بينما لا تزال نينا في غرفتها نائمة.

أنت تحاولين الفرار.

أجل، ولكنّني لا أتوصّل إليه في النهاية، أليس كذلك؟

لا.

لماذا يا دافيد؟

هذا هو ما نحاول تحرّيه.

أصعدُ إلى غرفة نينا. لقد بقيتْ هناك أشياء قليلة، أدسّها في حقيبتها الصغيرة بينما أحاول إيقاظها. أعددت لها شايًا، جئتها به مع علبة بسكويتها. تستيقظ وتتناول الفطور في السرير، وهي لا تزال نَعْسى. تنظر إليّ وأنا أطوي آخر قطع الملابس، وأحفظ أقلامها، وأجمع كتبها. إنّها نائمة باستغراق لا تلحّ معه على معرفة إلى أين سنذهب، ولماذا نعود قبل ما هو مخطَّط. قالت أمّي إنّ شيئًا سيّئًا سيحدث. كانت أمّي واثقة بأنّه، عاجلًا أو آجلًا، سيحدث، ويمكنني الآن أن أراه بكلّ وضوح. يمكنني الإحساس به يتقدّم نحونا مثل قَدَرٍ محتوم، لا رادّ له. لم تعد هنالك مسافة إنقاذ تقريبًا. الخيط قصير جدًّا، بحيث لا يسمح لي بأكثر من التحرّك في الغرفة، ولا أكاد أستطيع معه الابتعاد عن نينا من أجل الوصول إلى الخزانة وتناول آخر الأشياء منها.

«انهضي» أقول لها. «الآن، هيا».

تنزل نينا عن السرير.

- انتعلي حذاءك. البسي هذا المعطف.

أعطيها يدي وننزل معًا درجات البيت. في الأعلى منضدة سرير نينا وانعكاساته البنفسجيّة تظلّ مضاءة، وفي الأسفل، صرت قادرة على رؤية نور المطبخ. كلّ شيء كما في الحلم، أقول لنفسي، ولكنْ، بينما أنا أمسك نينا من يدها، لن يكون بدنها متصلّبًا بصورة غريبة بانتظاري في المطبخ. لن تكلّمني بصوتكَ، ولن تكون هناك علبة بازيلاء فوق المنضدة.

حسنًا.

صار هناك شيء من الضياء في الخارج. وبدلًا من وضع نينا في السيّارة، أجعلها تُحَمّل أشياء معي كيلا تبتعد. وقمنا معًا بجولة تفقّدنا فيها البيت والنوافذ والطاقات.

تضيّعان الوقت.

أجل، أعرف ذلك.

لماذا؟

إنّني أفكّر. أفكّر في كارلا، وفيك، بينما أنا أغلق النوافذ، وأقول إنّني جزء من هذا الجنون.

أجل.

ما أريد قوله، هو أنّني لو لم أستسلم حقًّا وأُخدع بمخاوف أمّك، لَما كان يحدث الآن أيّ شيء من هذا. ولكنت أنهض الآن مرتدية المايوه البيكيني كي أستغلّ شمس الساعة الثامنة.

أجل.

أنا أيضًا مذنبة، إذن. أنا أؤكّد، لأمّك، جنونَها، ولكن الأمر لن يكون كذلك.

لا؟

لا. ولهذا، يجب عليّ قول ذلك.

تفكّرين في التكلّم مع كارلا.

أفكّر في الاعتذار عن صرخاتي أمس، وإقناعها بأنّ كلّ شيء على ما يرام، وأنّه عليها أن تهدأ وتطمئن.

هذا خطأ.

ما لم أفعل ذلك فلن أغادر مطمئنة. سأصل إلى المدينة ولا أزال أفكّر في كلّ هذا الجنون.

التكلّم مع كارلا خطأ.

أُنزل قاطع تيّار الكهرباء العامّ وأُقفل باب البيت الرئيسيّ.

هذه هي لحظة الخروج من القرية. الآن هي اللّحظة.

أترك المفاتيح في صندوق الرّسائل، مثلما قلت للسيّد خيسيير إنّني سأفعل في اليوم الأخير.

ولكنّك سترين كارلا.

أهذا هو سبب عدم توصّلي إلى ذلك؟

أجل، هذا هو السّبب.

خرجنا مع الفجر. أمضي بضعة أمتار في الاتّجاه المعاكس للقرية وأتوقّف عند بيتك. لم أدخل بيتكم قطّ. والحقيقة أنّني كنت أفضّل عدم فعل ذلك. ولهذا، كان ما اكتشفته خبرًا طيّبًا: البيت مطفأ الأنوار، وأتذكّر أنّ اليوم ثلاثاء. في الريف، كلّ شيء يبدأ باكرًا، وربّما تكون أمّك قد صارت في مكاتب سوتومايور، على بعد كيلومتر واحد من القرية. هذا أمر يبعث على الراحة، فأعتبره إشارة إلى أنّني أقوم بما هو صائب. تجلس نينا في المقعد الخلفيّ، تنظر بصمت كيف

رحنا نبتعد عن بيتك. لا تبدو مهتمّة. إنّها تضع حزام الأمان، وساقاها متقاطعتان مثل هنديّ فوق المقعد، كما هي عادتها، وتحتضن دبدوبها. تبدأ حقول سوتومايور ببيت كبير في الواجهة، وتمتدّ في الخلف إلى حيث لا يصل البصر. لا يوجد درب بعدُ. ولكنّ هنالك عشبًا بين الشارع والبيت. ويوجد عنبران متوسّطا الحجم في الخلف، وسبعة مستودعات حبوب أو علف أخضر بعيدًا، فيما وراء أوّل الزروع. أركن السيّارة إلى جانب سيّارات أخرى متوقّفة حيث ينتهي البيت، فوق العشب. أطلب من نينا أن تنزل معي. الباب مفتوح، ندخل وأنا أمسك بيدها. والبيت، مثلما قالت لي كارلا، هو مكتب أكثر ممّا هو بيت. هنالك رجلان يتناولان المتّة، وامرأةٌ بدينة وشابة توقّع على أوراق وتقرأ عنوان كلّ ورقة بصوت منخفض. يهزّ أحد الرجلين رأسه موافقًا، كما لو أنّه يتابع ذهنيًا عمل المرأة. كلّ شيء يتوقّف عندما يروننا، وتسأل المرأة عمّا نريد.

ـ أبحث عن كارلا.

«آه»، وتعاود النّظر بتمعّن إلى كلتينا، كما لو أنّ المرّة الأولى لم تكن نافعة. «لحظة، سأعود حالًا».

«أتريدان بعض المتّة؟»، يرفع رجلا المنضدة آنيةَ المتّة، وأتساءل إن كان أحدهما هو السيّد سوتومايور.

أنفي ذلك، ونتّجه نحو مقعد، لكنّ كارلا وصلت. لا أحد يخبرها عنّا بينما هي تقترب بتركيز شديد لا تتوصّل معه إلى أن ترانا. تلبس قميصًا أبيض ومُنشّى، وأتفاجأ تقريبًا لأنّني لا أرى تحته حمّالتي صدر المايو البيكيني الذهبيّ.

إنّنا في حاجة إلى أن نسرع أكثر.

لماذا؟ ما الذي سيحدث عندما ينتهي الوقت؟

سأخبرك عندما تصبح معرفة التفاصيل مهمّة.

تُفاجأ كارلا حين ترانا. تظنّ أنّ شيئًا ما قد حدث، ويصيبها ذعر. تنظر إلى نينا بطرف عينها. أقول لها إنّ كلّ شيء على ما يرام، وإنّني أريد الاعتذار بسبب ما حدث يوم أمس، وسوف أغادر.

- إلى أين؟

«سنعود»، أقول؛ «سنعود إلى العاصمة».

يتغضّن حاجباها فأشعر بالحزن، أو بإحساس بالذنب، لست أدري.

- علينا أن نرجع بسبب موضوع يخصّ زوجي.

- الآن؟

سيبدو ذهابنا من دون وداعها أمرًا فظيعًا لأمّك. وعلى الرّغم من الانزعاج، فإنّها شكرتني لأنّي مررت لرؤيتها.

ولكنّها لم تكن فكرة جيّدة.

ما حدث قد حدث.

- هذا ليس أمرًا جيّدًا في أيّ حال.

تبدّل أمّك ملامح حزنها من لحظة إلى أخرى. تريدنا أن نتعرّف إلى إسطبلات خيول عمر. إنّها مهجورة، لكنّها محاذية لأراضي سوتومايور، ومن السّهل الوصولُ إليها من هنا.

ما هو مهمّ صار قريبًا جدًّا الآن. ما الذي يحدث فضلًا عن ذلك؟ ماذا يحدث؟ في محيط المكان؟

هذا صحيح. شيء آخر كان يحدث خارجًا، بينما تحاول أمّك إقناعنا. أسمع توقُّف سيّارة شاحنة. الرجلان اللذان يتناولان المتّة يضعان الآن قفازات طويلة، من المطّاط، ويخرجان. هنالك صوت رجوليّ في الخارج، ربّما هو صوت سائق الشاحنة. تقول كارلا إنّها ستقوم بإيصال بعض الأوراق، ثمّ ستأخذنا في الحال إلى الحظائر، وتطلب أن ننتظرها خارجًا. يُسمع عندئذ دويّ. شيء ما يسقط؛ شيء بلاستيكيّ وثقيل، ولكنّه لا يتحطّم. نترك كارلا ونخرج. وفي الخارج، يُنزل الرجلان غالونات بلاستيكيّة. إنّها كبيرة، ويتمكّنون بمشقّة من حمل واحد منها في كلّ يد. هنالك الكثير منها. الشاحنة كلّها ممتلئة بالغالونات.

هكذا.

ظلّ أحد الغالونات وحيدًا عند مدخل العنبر.

هذا هو المهمّ.

أهذا هو المهمّ؟

أجل.

كيف يمكن أن يكون هذا هو المهمّ؟

ماذا بعد؟

تجلس نينا على العشب، قرب الطريق. تنظر إلى الرجال يعملون، وبدت مفتونة بذلك النشاط.

أحدهم في صندوق الشاحنة، إنّه من يحضر الغالونات، بينما الرجلان الآخران يتلقيانها، بالتناوب، ويحملانها إلى الداخل. يستخدمان بابًا آخر، بوابة عنبر أبعد قليلًا. إنّها غالونات كثيرة، يذهبان ويجيئان عدّة مرّات. الشمس قويّة وهنالك نسمة باردة لطيفة جدًّا. أفكّر في أنّ هذا هو الوداع، وأنّها ربّما تكون طريقة نينا في الوداع. وهكذا، أجلس إلى جانبها وننظر كلتانا معًا إلى عمليّة النقل.

وماذا حدث أيضًا، في أثناء ذلك؟

لا أتذكّر المزيد. هذا هو كلّ ما حدث.

لا، هناك المزيد؛ في محيط المكان، قربه... هنالك المزيد.

لا شيء أكثر.

مسافة الإنقاذ.

إنّني أجلس على بُعد عشرة سنتمترات عن ابنتي، يا دافيد. لا وجود لمسافة إنقاذ.

لا بدّ من وجودها. كانت كارلا على بُعد متر عنّي مساء ذلك اليوم الذي هرب فيه حصان التشبية، وكدتُ أموت.

لديّ أسئلة كثيرة أوجّهها إليك عن ذلك اليوم.

ليست هذه هي اللّحظة المناسبة. ألا تشعران بأيّ شيء؟ ألا يوجد أيّ إحساس يمكن ربطه بشيء آخر؟

شيء آخر؟

ماذا حدث أيضًا؟

تأخّرت كارلا في الخروج. كنّا قريبتين جدًّا من كلّ شيء؛ في منتصف كلّ شيء، نتسبب بالإزعاج تقريبًا، لكنّ الأمور تحدث بطيئة ولطيفة. الرجال لطفاء ويبتسمون لنينا مرّة بعد أخرى. ينهي الرجلان إنزال الغالونات، ويصافحان السّائق، وتذهب الشاحنة. ثمّ يعودان للدخول إلى البيت، وننهض نحن عن العشب. أنظرُ إلى الساعة، إنّها التاسعة إلّا ربعًا. ما بين أمزٍ وآخر يمضي وقت لا بأس به. لقد بدأ النهار. تنظر نينا إلى ملابسها، وتلتفت لترى مؤخّرتها، وساقيها.

لماذا؟ ماذا حدث؟

«ماذا جرى؟»، أسألُها.

«إنّني مبتلّة»، تقول بشيء من التسخط.

«اسمحي لي بأن أرى...»، وأمسكها من يدها وأجعلها تدور. لون الملابس لا يساعد على رؤية أنّها مبلّلة جدًّا، لكنّني ألمسها و... أجل، إنّها مبلّلة.

أقول لها:

ـ إنّه العشب. الآن، مع المشي، سيجفّ.

هذا هو المهمّ. هذه هي اللّحظة.

غير ممكن، يا دافيد. حقًّا لم يكن هنالك أكثر من هذا!

هكذا يبدأ.

ربّاه.

ماذا تفعل نينا؟

إنّها جميلة جدًّا.

ماذا تفعل؟

تبتعد قليلًا.

لا تتركيها تبتعد.

تنظر إلى العشب. تلمسه بيديها، ولا تقتنع بنكبتها الصغيرة.

وماذا جرى لمسافة الإنقاذ؟

كلّ شيء على ما يرام.

لا.

إنّها تقطّب جبينها.

أسألُها: هل أنتِ على ما يرام يا نينا.

يا للرائحة الخبيثة!

تشمّ يديها.

تقول إنّها رائحة كريهة جدًّا.

تخرج كارلا من البيت أخيرًا.

لا أهمّيّة لكارلا.

ولكنّني أتّجه نحوها، ما زلت أظنّ أنّني سأحاول إقناعها بالعدول عن المشوار.

لا تتركي نينا وحدها. إنّ الأمر ينقضي.

تقترب كارلا حاملةً حقيبتَها اليدويّة، ومبتسمة.

إيّاكِ والسّهو.

لا يمكنني اختيار ما سيلي، يا دافيد. لا أستطيع الالتفات نحو نينا.

لقد بدأ. إنّه يحدث.

أيّ شيء هذا، يا دافيد؟ ربّاه! ما الذي بدأ يحدث؟

الديدان.

لا، أرجوك.

هذا أمر سيّئ جدًّا.

أجل، الخيط يتوتّر، ولكنّني ساهية.

وماذا عن نينا؟

لا أدري، يا دافيد، لا أدري! إنّني أتكلّم مع كارلا مثل أيّ بلهاء. أسألها كم سنتأخّر.

لا، لا.

لا يمكنني عمل أيّ شيء، يا دافيد. أهكذا أفقدها؟ الخيط متوتّر جدًّا. أشعر به ابتداءً من معدتي. ما الذي يحدث؟

هذا هو أكثر ما يجب الاهتمام به. هذا هو كلّ ما نحن في حاجة إلى معرفته.

لماذا؟

بِمَ تشعرين الآن، الآن بالضبط؟

إنّني مبلّلة أنا أيضًا. إنّني مبتلّة، أجل، أشعر بذلك الآن.

لست أعني هذا.

أليس مهمًّا أن أكون أنا مبتلّة أيضًا؟

بلى، مهمّ، ولكن ليس هذا هو ما يجب فهمه يا آماندا. إنّها اللّحظة. إيّاك والسّهو. فلنبحث عن النقطة المضبوطة لأنّنا نريد أن نعرف كيف يبدأ.

المسألة أن تركيزي منصبٌّ على أمر آخر. أشعر الآن بذلك. أجل، أنا مبتلّة.

إنّها مسألة تدريجيّة جدًّا.

يبرّد النسيم الرطوبة، وأشعر ببلل مؤخّرة بنطالي. تقول كارلا لي إنّ الجولة تستغرق عشرين دقيقة، وإنّ المكان قريب، هنا، وأنا أنظر بصورة غريزيّة إلى بنطالي.

نينا تنظر إليكِ.

أجل.

هي تعرف أنّ هذا ليس جيّدًا.

ولكنّه ندًى. أظنّ أنّه ندًى.

ليس ندًى.

ما هو، إذن، يا دافيد؟

لقد وصلنا إلى هنا كي نعرف ما الذي تشعرين به الآن بالضبط.

حركة شدّ خفيفة في المعدة فقط، بفعل الخيط، وشيء من حموضة، خفيفة جدًّا، تحت اللّسان.

حموضة، أم مرارة؟

مرارة، مرارة، أجل، لكنّها خفيفة جدًّا. ربّاه! إنّها خفيفة جدًّا. بدأنا المشي، نحن الثلاث، نجتاز حقول المراعي متوغّلات. تسهو نينا، فتقول لها كارلا إنّ هناك بركة ماء أيضًا، فيصبح لديها هي أيضًا دافعًا إلى الوصول، ويتبدّل مزاجها.

كم مضى حينها من الوقت؟

على الفور، تنسى فورًا. وأنا أيضًا.

هل ستعودين إلى التساؤل بأيّ سائل أنت مبتلّة؟

لا، يا دافيد.

هل ستشمّين يديكِ؟

لا.

ألن تفعلي شيئًا؟

لا، يا دافيد، لن أفعل شيئًا. سنمشي، وحتّى إنّني سأتساءل إذا كان ذهابي مستحسنًا. واصلنا المشي تحت الشمس وعشب المراعي يصل حتّى الركبتين. إنّها لحظة ممتازة تقريبًا. تحدّثني كارلا عن سوتومايور. اتّخذت أمّك بعض القرارات بشأن كيفية تنظيم موضوع الطلبيّات، فمنحها سوتومايور إذنًا طوال فترة الصباح.

ألّا تنتبهين إلى ما يحدث الآن بالذات؟

لا يمكنني الانتباه يا دافيد. ترى نينا بركة الماء وتركض. حظائر الخيل لا سقوف لها، لم يبق سوى الآجرّ المحروق. إنّه منظر بديع، ولكنّه محزن أيضًا. وحين أسأل كارلا كيف احترق، تبدو عليها علامات الضّيق، وتقول:

ـ لقد أحضرتُ متّة.

أقول لنينا ألّا تقلق. تفاجئني الرّغبة التي تتملّكني في تناول بعض كؤوس المتّة، وضعفِ رغبتي في ركوب السيّارة وقيادتها أربع ساعات ونصف ساعة حتّى العاصمة، والعودةِ إلى الضجيج، والقذارة، والاحتقانات في كلّ شيء تقريبًا.

هل يبدو لك هذا المكان أفضلَ حقًّا؟

ثمّة مجموعة أشجار تمنح بعضًا من الظلّ، نجلس على جذوعها، قرب البركة. تمتدّ حقول الصويا في كلّ الجهات. كلّ شيء أخضر، شديد الخضرة. خضرة معطّرة. وتسألني نينا إن أمكننا البقاءُ لوقت أطول قليلًا.

هذا موضوع لم يعدْ يهمُّني.

«لقد حدثت أمور كثيرة»، أقول لكارلا.

تقطّب جبينها وهي تُخرج المتّة، لكنّها لا تسألني عمّا أعنيه.

ـ أعني، منذ بدأتِ تخبرينني عن دافيد.

الحقيقة أنّ هذا لن يوصلنا إلى أيّ مكان. لو أنّك تعرفين الآن ما هي قيمة الوقت لَما أضعتِه على هذا النحو.

تروق لي هذه اللّحظة. إنّنا على ما يرام، مطمئنات نحن الثلاث. وبدأ كلّ شيء، بعد هذا، يسير بصورة سيّئة.

متى، بالضبط، بدأ يمضي بصورة سيّئة؟

أسألُ كارلا ماذا جرى لدافيد؟ ما الذي غيّره كثيرًا؟

«البقع»، تقول كارلا، وترفع إحدى كتفيها وتُنزلها، في حركة شبه نزويّة، كحركة طفلة. وتضيف: «في البدء، كانت البقع هي أكثر ما يزعجني».

تمشي نينا حول البركة، وتتوقّف بعد كلّ بضع خطوات، وتنحني فوق الآجرّ في اتّجاه الظلمة، وتنطق اسمها، وتقول «يفتننا هذا»، بنبرتها الأرستقراطيّة التمثيليّة. وصدى الصوت يكاد يكون بمثل ذلك الوقار. تقول «مرحبًا»، «نينا»، «مرحبًا، أنا نينا ويسعدنا».

«ولكن هناك أشياء أخرى أيضًا»، تقول كارلا وهي تقدّم إليّ المتّة. وتضيف «أنت تظنين أنّني أبالغ، وأنّني أنا من أصبتُ الطفل بالجنون. عندما صرختِ بي يوم أمس...»

أين هما حمّالتاها المذهّبتان، أفكّر. كارلا جميلة. أمّك جميلة جدًّا، وهنالك شيء في ذكرى تينك الحمّالتين يشدّني. أشعر بندم شديد لأنّي صرخت بها.

ـ ظهرت البقع عليه فيما بعد. ففي الأيّام الأولى، على الرّغم من أنّ امرأة البيت الأخضر قد قالت إنّ دافيد سينجو، كان بدنه يغلي، وكان يهذي من الحمّى، ولم يبدأ بالهدوء إلّا في اليوم الخامس.

ـ بماذا تسمّم؟

كرّرت كارلا حركة كتفها.

ـ هذا شيء يحدث يا آماندا. نحن في ريف محاط بزروع. كلّ يومين أو ثلاثة أيّام يسقط أحدهم، وإذا ما نجا فإنّه يظلّ في حالة

غريبة. ترينهم في الشوارع، وعندما تتعلّمين التعرّف إليهم ستُفاجَئين بكثرة وجودهم ـ تقدّم إليّ كارلا المتّة كي تُخرج سجائرها ـ. انقضت الحمى، ولكنَّ دافيد تأخّر كثيرًا قبل أن يستطيع الكلام. بدأ يقول بعض الكلمات، بعد ذلك، وشيئًا فشيئًا. ولكنّ الحقيقة، يا أماندا، أنّه يتكلّم كلامًا غريبًا جدًّا.

ـ كيف هو غريب جدًّا؟

ـ غريب، يمكن أن يكون عاديًّا جدًّا. غريب، يمكن فقط أن تكون جملة «هذا ليس مهمًّا» جوابًا عن كلّ شيء. ولكن، إذا لم يكن ابنك يجيب قطّ من قبلُ بهذه الطريقة، ففي المرّة الرابعة التي تسألينه فيها لماذا لا يأكل، أو إذا كان يشعر بالبرد، أو تطلبين منه الذهاب للنوم، فيجيب، وهو يمضغ الكلمات تقريبًا، كما لو أنّه ما زال يتعلّم الكلام: «هذا غير مهمّ». أقسم لك يا أماندا إنّ ساقيك سترتجفان.

وهل هذا غير مهمّ يا دافيد؟ ألن تقول شيئًا في هذا الشأن؟

«ربّما هذا شيء سمع امرأةَ البيت الأخضر تقوله»، قلتُ، «ربّما هو جزء من الصدمة، من كلّ ما حدث في أيّام الحمّى تلك».

ـ أنا، نفسي، فكّرت في شيء مماثل أيضًا. في أحد تلك الأيّام، كنت مستلقية في سريري، ورأيته في الحديقة الخلفيّة. كان يجلس القرفصاء موليًا ظهره لي. لم أستطع أن أفهم جيّدًا ما الذي يفعله، ولكنّني شعرت بالقلق. لا يمكنني أن أخبرك بالسّبب، ولكن شيئًا في حركاته استثار مخاوفي.

ـ أفهم ذلك تمامًا.

ـ أجل، إنّها مشاعر أمّ. لا بأس. تركتُ ما كنت أفعله وخرجت. تقدّمت خطوات نحوه، ولكنّني حين عرفت ما يجري ظللتُ حيث كنت. لم أستطع التقدّم ولو خطوة إضافيّة واحدة. لقد كان يدفن بطة يا أماندا.

ـ بطة؟

ـ كان عمره أربع سنوات ونصف السنة، وكان يدفن بطّة.

ـ ولماذا كان يدفن بطّة؟ أتأتي من البحيرة؟

ـ أجل، ناديته لكنّه تجاهلني. انحنيت، لأنّه كان ينظر إلى أسفل، وأردت رؤية وجهه. أردت أن أفهم ما الذي يحدث، ليس للبطّة فقط، وإنّما له هو نفسه. كان وجهه أحمر، وعيناه منتفختين من كثرة البكاء. وكان يُخرج التراب برفشه البلاستيكيّ الصغير. مقبض الرفش مكسور وملقًى على مقربة منه، وهو ينبش التراب الآن بملعقة الرفش وحدها، وليست أكبر من يده إلّا قليلًا. كانت البطّة إلى جانبه. وعيناها مفتوحتين. وبدا عنقها، وهي ملقاةٌ على الأرض، أطولَ ممّا هو عليه، وأكثرَ مرونة من طبيعته. حاولتُ أن أستفسر عمّا حدث، ولكنّه لم يرفع نظره لحظة واحدة.

أريد أن أريكِ شيئًا.

أنا الآن من ستقرّر في أيّ قصّة يجب التركيز، يا دافيد. ألّا يبدو لك مهمًّا هذا الذي ترويه أمّك؟

لا.

تدخّن أمّك، وتقوم نينا بعدّة جولات من دورانها النشط حول بركة الماء. وهذا سيكون هو المهمّ الآن.

ـ الحقيقة ـ تقول أمّك ـ أنَّ إقدام ابنك على قتل بطّة بالضرب أو بالخنق، أو الإجهازَ عليها بالطريقة التي فعل بها ذلك، يمكن ألّا يكون أمرًا رهيبًا جدًّا. هنا في الريف، تحدث مثل هذه الأمور، وأفترض أنَّ أمورًا أسوأ تحدث في العاصمة. ولكنّني اكتشفت بعد بضعة أيّام ما حدث. رأيت كلّ شيء بعينَيَّ.

«مامي»، قالت نينا، وكرّرت: «مامي»، لكنّني لم أُعرها اهتمامًا. كنت أركّز انتباهي في كارلا، وعادت نينا إلى الابتعاد.

ـ كنت أعرّض جسمي للشمس في الحديقة الخلفيّة. لدينا على بُعد عشرة أمتار قمحٌ مزروع. ليس ملكنا، فعمر يؤجّر قطعة الأرض للجيران، وهذا يروق لي لأنّه يجعل الحديقة تبدو أصغر مساحةً، ويمنحنا حميميّة. كان دافيد يجلس قريبًا من كرسيّ الشاطئ، ويلعب بأشيائه على الأرض. نهض عندئذ واقفًا، وراح ينظر في اتّجاه الزرع. رأيته من الخلف، ضئيلًا وغريبًا بذراعيه المتدلّيتين على جانبي جسده وقبضتيه المطبِقتين، كما لو أنَّ شيئًا متوعّدًا قد استثاره فجأة.

أشعر بشيء غريب في يديّ، يا دافيد.

في اليدين؟ الآن؟

أجل، الآن.

ـ كان دافيد يقف ثابتًا، يوليني ظهره، نحو دقيقتين تقريبًا. إنّه وقت طويل، يا أماندا. وكنتُ أنا، طوال ذلك الوقت، أفكّر في مناداته، ولكنّني أشعر بالخوف من فعل ذلك. تحرّك عندئذ شيء في زرع

القمح. وظهر فرخ بطٍّ. كان يمشي بطريقة غريبة. يتقدَّم خطوة أو خطوتين في اتّجاهنا، ويتوقّف.

ـ كما لو أنّه خائف؟

سمعت نينا تركض حول بركة الماء، وتقول «يفتننا»، «يفتننا». ضحكتها وصدى ضحكتها يقتربان ويبتعدان. نفثت كارلا دخان سيجارتها وهي تواصل التفكير في الأمر.

ـ لا. كما لو أنّه مستنفَد القوى. تبادلا النَّظرات، أقسم لك، تبادل دافيد والبطّة النَّظرات لثوانٍ. وخطَتِ البطّة خطوتين أُخريين، مقاطعة إحدى قائمتيها أمام الأخرى، كما لو أنّها مخمورة، أو أنّها لم تعد قادرة على التحكُّم في جسمها. وانهارت على الأرض عندما حاولتْ أن تخطو الخطوة التالية، ميّتةً تمامًا.

يداي ترتجفان يا دافيد.

ترتجفان؟

أظنّ ذلك، أجل. إنّهما ترتجفان، لست أدري. ربّما هي قصّة كارلا.

تشعرين بأنّهما ترتجفان، أم أنّهما ترتجفان فعلًا؟

إنّني أنظر إلى يدَيَّ الآن ولا أراهما ترتجفان. ألهذا علاقة بالديدان؟

يجب أن تكون له علاقة، أجل.

أنظر إلى يدي، لكنّ أمّك تواصل الكلام. تقول إنّها في صباح اليوم التالي، اكتشفت وهي تغسل الأطباق، أنّ هناك في الفناء ثلاثَ بطوط أُخرى ميّتة، ملقاة على الأرض كما في اليوم السّابق.

أريد أن أعرف أيّ شيء آخر يحدث لديك.

لكن، هل ذلك صحيح يا دافيد؟ هل قتلت تلك البطوط؟ وتقول أمّك الآن إنّك قد دفنتها جميعًا، وإنّك بكيت في كلّ مرّة.

ـ رأيتُ كلّ شيء من النافذة يا آماندا، حفرةٌ إلى جانب الأخرى. وكنت واقفة طوال هذا الوقت وقِدْرٌ صغيرة نصفُ مغسولة بين يدَيّ. لم أجد ما يكفي من القوّة للخروج.

أهذا صحيح؟

لقد دفنتها، الدفن ليس قتلًا.

تقول كارلا إنّ هناك المزيد. ثمّة شيء أسوأ تريد أن ترويه لي أيضًا.

أريدك أن توليني انتباهك يا آماندا. ثمّة شيء أريد أن أعرضه عليكِ.

تقول إنّها قضية كلب؛ واحد من كلاب السيّد خيسيير.

كلّ شيء تقصّه عليكِ هي سيكون أسوأ، ولكنّك إذا لم توقفي هذه القصّة الآن، فلن يتّسع الوقت لِما أريد عرضه عليك.

إنّني مشوّشة، ولا أستطيع التركيز الآن إلّا في قصّة كارلا.

هل ترينني؟

أجل.

أين أنا؟

لقد نسيت، ولكن... أجل، أنتَ هنا، تجلس على حافّة سريري. إنّه سرير مرتفع، وساقاك تتدلّيان، إذا حركتهما يَصِرّ الحديد تحت الفراش. وكان يُصدر صوتًا طوال هذا الوقت.

أين نحن؟

أعرف أين نحن. إنّنا في قاعة الطوارئ الصغيرة، منذ بعض الوقت.

أتعرفين منذ متى؟

منذ يوم... خمسة أيّام.

يومان.

ونينا؟ أين هي نينا الآن؟ يبتسم الرجلان اللذان يحملان الغالونات عند مرورهما إلى جانبنا. إنّهما لطيفان معها، ولكنّها تنهض الآن عن العشب وتُريني ثوبها، ويديها. يداها مبلّلتان، ولكنّه ليس ندًى، أليس كذلك؟

لا. أيمكنك النهوض؟

أتعني مغادرة السرير؟

سوف أنزل.

يَصِرّ حديد السرير.

أترينني؟

ما الذي يجعلك تفكّر في أنّني لا أرى؟

أنزِلي ساقيك.

لماذا تلبس بيجاما؟

إذا خطوتِ اثنتي عشرة خطوة في تقدُّمك، فستصلين إلى الممرّ.

أين هي نينا؟ أيعرف زوجي أنّني هنا؟

يمكنني إشعال النور، إذا كان ذلك ضروريًا.

تقول أمّك إنّ الكلب قد وصل حتّى درجات البيت، وظلّ رابضًا هناك طوال المساء تقريبًا. وتقول إنّها سألتك عن الكلب عدّة مرّات، وكنت تقول لها، في كلّ مرّة، إن الكلب ليس هو المهمّ. واعتكفت في الحجرة، ورفضت الخروج. وتقول إنّه حين انتهى الأمر بالكلب إلى الانهيار، مثلما رأت انهيار البطوط، عندئذ فقط خرجتَ من البيت، وسحبتَ الكلب إلى الحديقة الخلفيّة، ودفنته .

يمكنك الاستناد إلى كتفي إذا وجدتِ ذلك ضروريًا .

لماذا تخافك كارلا كلّ ذلك الخوف؟

أترين رسوم الجدارن؟

إنّها رسوم رسمها أطفال. نينا أيضًا ترسم رسومًا.

ما هو عُمر هؤلاء الصغار؟ أيمكنك أن تقولي ما هي أعمارهم؟

دافيد.

نعم.

إنّني مشوّشة، أخلط بين الأزمنة.

لقد قلتِ لي هذا من قبل.

أجل، لكنّني أفهم بوضوح ما يحدث، خلال دقائق.

أظنّ ذلك .

ماذا ستُريني؟ لا أظنّ أنّني أريد رؤيته.

انتبهي للدرجات .

ببطء أكثر، أرجوك.

إنّها ستّ درجات، وبعد ذلك يستمرّ الممرّ.

أين نحن؟

إنّها حجرات قاعة الطوارئ.

يبدو مكانًا فسيحًا.

هنا كلّ شيء صغير. كلّ ما في الأمر أنّنا نتقدّم ببطء. أترين الرسوم؟

أتوجد رسوم لك؟

في نهاية الممرّ.

هل هذا المكان حضانة أطفال أيضًا؟

أنا هنا مع البطوط والكلب والخيول. هذا هو رسمي.

أيّ خيول؟

ستخبرك كارلا عن الخيول.

وماذا تريدُ أنت أن تُريني؟

أوشكنا على الوصول.

لدى أمّك مايوه بكّيني ذهبيّ اللّون، وحين تتحرّك في المقعد يتحرّك معها كذلك. داخل السيّارة، رائحةُ عطر واقيها الشمسيّ. أنتبه الآن لذلك. إنّها تتعمّد القيام بتلك الحركة، فهي من تجعل حمالتَيِ البكّيني تنزلقان.

أما زلتِ ترينني؟ أماندا، أُريدك أن تركزي، لا أريد البدء مرّة أخرى من البداية.

من البداية؟ هل فعلنا هذا في مرّات سابقة؟ أين هي نينا؟

فلنتجاوز هذا الباب. هنا.

هل يحدث هذا بسبب الديدان؟

أجل، بطريقة ما. سأُشعل النور.

ما هو هذا المكان؟

قاعة.

إنّها حضانة أطفال، قد يروق لنينا هذا المكانُ.

ليست حضانة أطفال. أنا أسمّيها: «قاعة الانتظار».

لا أشعر بأنّني على ما يرام. هذه ليست قاعة انتظار، يا دافيد.

بماذا تشعرين الآن؟

يبدو لي أنّني محمومة. أيكون هذا هو السّبب في أنّ كلّ شيء مشوّش؟ أظنّ أنّ هذا هو السّبب، وكذلك لأنّ تصرّفك لا يساعد.

إنّني أحاول أن أكون واضحًا قدر ما هو ممكن، يا أماندا.

ليس صحيحًا. أفتقد المعلومة الأكثر أهمّيّة.

نينا.

أين هي نينا؟ ما الذي يحدث في اللّحظة الدقيقة المحدّدة؟ لماذا هذا كلّه مرتبط بالديدان؟

لا، لا. ليس متعلّقًا بالديدان. يشبه الشعورَ بالديدان، أوّل الأمر، في الجسد. ولكنّنا، يا أماندا، قد تجاوزنا هذا أيضًا. فلنتكلّم على الشم؛ المادةِ السّامة. لقد حكيتِ لي كيف وصلتِ إلى هنا أربعَ مرّات.

ليس صحيحًا.

بل صحيح.

لكنّني لا أعرف ذلك، ما زلت لا أعرفه.

تعرفينه، لكنّك لا تفهمينه.

إنّني آخذة بالموت.

أجل.

لماذا؟ إنّ يدَيّ ترتجفان بشدّة.

لا أرى أنّهما ترتجفان، لقد توقّفتا عن الارتجاف، منذ أمس.

ترتجفان الآن وأنا في الحقل، أرى نينا تقترب نحوي آتيةً من جهة بركة الماء.

أماندا، أريدك أن تركّزي.

تسألني كارلا إذا كنت أفهم ذلك الآن. لو كنت مكانها لَما شعرتُ الشعورَ نفسه. ونينا صارت قريبة جدًّا.

لا تشردي، يا أماندا.

إنّها مقطّبة الوجه.

أما زلت ترينني؟

ـ ماذا جرى يا نينا؟ أأنت بخير؟

تنظر نينا إلى يديها.

ـ أشعر بحكّة شديدة فيهما ـ تقول ـ إنّهما تتأجّجان.

ـ يوقظني عمر عندئذ بهزّ قدميّ ـ تقول كارلا ـ. إنّه يجلس على السرير شاحبًا ومتيبّسًا. أسأله ما الذي حدث، لكنّه لا يجيب. إنّها الخامسة، أو السادسة صباحًا. لماذا هنالك كثير من الضياء. «عمر»، أقول له، «عمر، ماذا جرى؟». «إنّها الخيول»، يقول لي. أقسم لك يا أماندا، قال ذلك بطريقة مرعبة. يقول عمر، بين حين وآخر، أشياء قويّة، ولكن لم يكن لأيّ منها رنّةٌ كرنّة هاتين الكلمتين. يقول أشياء قبيحة عن دافيد. إنّه لا يبدو له صبيًا طبيعيًا. ووجوده في البيت يُشعره بعدم الراحة. لا يريد الجلوس إلى المائدة معه. وهو لا يكلّمه عمليًا. نستيقظ أحيانًا في اللّيل، ولا يكون دافيد في حجرته ولا في أيّ مكان آخر من البيت، فكان عمر يردُّ ذلك إلى الجنون. أظنّ أنّ ذلك كان يُرعبه. لم نكن ننام جيّدًا لأنّنا نظلّ متعلّقين بأصوات الضجيج. خرجنا في المرّات الأولى بحثًا عنه. كان عمر يمضي في المقدّمة حاملًا المصباح اليدويّ، وأنا وراءه أمسك بطرف قميصه، وأركّز اهتمامي في الأصوات والبقاء طوال الوقت ملتصقة بظهره. في إحدى المرّات، وقبل الخروج، تناول عمر سكينًا، ولم أقلّ له شيئًا، يا أماندا. ماذا تريدين أن أقول له. الحقل مظلم جدًّا في اللّيل. بدأ عمر، فيما بعد، يقفل باب غرفة دافيد. صار يحبسه قبل ذهابه للنوم، ويفتح له الباب عند الفجر، قبل خروجه من البيت. يطرق دافيد الباب بقوّة. في بعض الأحيان لم يكن ينادي عمر قطّ. يطرق الباب ويتلفّظ باسمي، إذ لم يعد يناديني: ماما. وهكذا، كان عمر جالسًا عند أقصى السرير، وعندما تمكّنتُ من الاستيقاظ وإدراك أنّ شيئًا غريبًا يحدث، استدرت في اتّجاه الباب لأرى إلى أيّ شيء ينظر عمر مستغرقًا. كان باب غرفة دافيد مفتوحًا. «الخيول»، قالها عمر. فسألته: «ماذا جرى للخيول؟».

«أشعر فيهما بحكّة شديدة، يا أمّاه»، تقول نينا وتعرض عليّ يديها. تجلس إلى جانبي، وتعانقني.

أُمسك بيديها وأطبع قبلة على كلّ منهما. تقلّب راحتيها إلى أعلى كي تعرضهما عليّ. تُخرج كارلا كيس بسكويت وتضع حفنه منه في راحتيها.

«هذا يشفي كلّ شيء»، تقول.

تطبق نينا يديها بسعادة وتركض، وهي تصرخ باسمها، في اتّجاه بركة الماء.

«وماذا عن الخيول؟»، أسأل.

«لم تكن موجودة»، تقول كارلا.

ـ كيف لم تكن موجودة؟

ـ هذا ما سألته أنا أيضًا لعمر، فقال إنّه سمع ضجّة في المستودع، واستيقظ بسبب ذلك. رأى أنّ باب غرفة دافيد مفتوح. تذكّر جيّدًا أنّه كان قد أقفله، ونهض ليرى ما الذي يحدث. كان باب البيت مفتوحًا أيضًا. كان قد انتشر بعض الضياء في الخارج. خرج هكذا، قال عمر، بلا مصباح يدويّ وبلا سكين. تطلّع إلى الحقل، وخطا بضع خطوات مبتعدًا عن البيت، واحتاج إلى لحظات كي يفهم ما الذي بدا له شديدَ الغرابة. كان نائمًا بعمق. لم تكن الخيول موجودة، ولا أيُّ حصان منها. كان هناك مهر صغير فقط، وُلد قبل أربعة شهور، يقف وحيدًا وسط الحقل، ويقول عمر إنّه مذ كان عند البيت، عرف موقنًا أنّ الحيوان متجمّد من الخوف. اقترب ببطء. لم يتحرّك المهر. تطلّع عمر في كلّ

الاتّجاهات، ونظر في اتّجاه الجدول، وفي اتّجاه الشارع، لكنْ، لم يكن هناك أثر لبقية الخيول. وضع راحة يده على جبهة المهر، وتحدّث إليه ودفعه برفق، لتفحّصه فقط. لكنّ المهر لم يتحرّك. ظلّ هناك حتّى الصباح، حين جاء مفوّض الشرطة ومساعداه، وظلّ هناك بعد ذهابهم. كنت أراه من النافذة. أقسم لك، يا آماندا، بأنّني لم أعد أجد الحماسة ولو لمجرّد الخروج. ولكنْ، هل أنتِ على ما يرام؟

ـ أجل، لماذا تسألين؟

ـ أراكِ شاحبة.

ـ هل كان عمر يعرف بأمر البطوط؟ وبأمر كلب السيّد خيسيير؟

ـ كان يعرف أمرًا ما، فقد قرّرت عدم إخباره بشيء، لكنّه رأى جُثى تراب، حيث البطوط، وسأل. أظنّ أنّه كانت لدى عمر بعض الشكوك، لكنّه يفضّل ألّا يعرف. لم يوجّه أيّ أسئلة، عندما انقضى موضوع امرأة البيت الأخضر وأيّام الحمّى. لم يكن يهمّه ذلك بكلّ بساطة. ما كان يؤرّقه أكثر هو فقدان حصان التشبية المبارَك والمستعار. ولكنّك شاحبة، يا آماندا، كما أنّ شفتيك بيضاوان.

«إنّني على ما يرام. ثمّة شيء أزعجني هناك. كنت عصبيّة بعض الشيء»، أقول وأنا أفكّر في مجادلة أمس، فتنظر إليّ كارلا موارِبة، لكنّها لا تقول شيئًا.

نظلّ للحظة صامتتين. أريد أن أسأل عن الخيول، ولكنّ كارلا تبدي الآن اهتمامًا بنينا، فأقول لنفسي إنّ من الأفضل الانتظارَ. ترجع نينا من حيث الأشجار في اتّجاه البركة. تثبت طرف ثوبها وهي

تستخدمه كسلة، وعندما تصل تنحني بطريقتها التمثيليّة كأميرة، وتضع أكواز الصنوبر مصطفّةً على الأرض، فتقول كارلا:

ـ تعجبني نينا كثيرًا.

أبتسم، ولكنّني أستشفّ أنّ هناك شيئًا آخر وراء قولها هذا.

ـ لو كان في إمكاني الاختيارُ، لاخترت طفلة؛ واحدة مثل نينا.

يحرّك النسيم، على مقربة منّا، زرعَ الصويا بصوت ناعم وجياش، كما لو أنّه يداعب الشتول. والشمسُ، التي صارت حادّة، ترجع إلى الظهور من بين الغيوم، مرّة بعد أخرى.

ـ أتخيّل في بعض الأحيان أنّني أغادر ـ تقول كارلا ـ، وأنّني أبدأ حياة جديدة، بحيث يمكنني الحصول على طفلة لي؛ شخصٍ أعتني به ويسمح لي بذلك.

أريد التحدّث مع كارلا؛ أن أقول لها بعض الأشياء، ولكنّني أشعر ببدني ساكنًا مُنَمِّلًا. وأظلّ على هذه الحال بضعَ ثوانٍ أخرى، مدركةً أنّ هذه هي لحظة التكلُّم، ولكنّني أظلّ بلا حراك في كنف الصمت المريح.

«كارلا»، أقول.

تميل شتول الصويا الآن في اتّجاهنا. أتخيّل أنّني سأبتعد بعد دقائق عن البيت المستأجَر وعن بيت كارلا. سأترك القرية. وسنة بعد أخرى، سأختار نوعًا آخر من الإجازات؛ إجازات أمضيها على البحر وبعيدًا جدًّا عن هذه الذكرى. وستأتي هي معي، هذا ما أظنّه. ستأتي كارلا إذا ما اقترحتُ عليها ذلك؛ ستأتي بلا أيّ شيء آخر سوى أضابيرها

وملابسها التي ترتديها. وسنشتري، بالقرب من بيتي، مايوه بكَيني آخرَ ذهبيَّ اللّون، وأتساءل إذا كانت هذه هي الأشياء التي سأفتقدها.

أترينني؟ أترينني الآن؟

أجل، ولكنّني على الأرض، وأجد صعوبة في مواصلة القصّة.

لا تنهضي، من الأفضل أن تظلّي برهةً أخرى على الأرض.

أعتقد أنّني أنام في الريف أيضًا.

كارلا تنوّمك.

نعم، لأنّني أرى قمم الأشجار الآن.

لأنّها تسألكِ مرّة أخرى إذا كنتِ على ما يرام، لكنّكِ لا تجيبينها. تضع محفظتها تحت رأسك، وتسألك ماذا تناولتِ على الفطور، وإذا كنت ممّن يعانون انخفاض الضغط، وإذا كنتِ تسمعينها.

كيف تعرف أنّ هذا هو ما يحدث؟ هل تراه؟ أكنت مختبئًا هناك؟

ليس هذا هو المهمّ الآن.

أم أنّ هذا الذي قلته، لأنّنا نتكلّم على الشم، على التسمّم، وكنتُ قد أخبرتك كيف وصلتُ إلى هنا في مرّات أخرى؟

أماندا.

وماذا عن نينا؟

تنظر نينا إليكما من جهة بركة الماء. تترك أكواز الصنوبر مبعثرة على الحوافّ، ولم يبقَ فيها أيّ شيء من نقطيبتها التمثيليّة.

هذا صحيح، لم يبقَ أيّ شيء من تقطيبتها التمثيليّة.

تنتظر كارلا، إلّا أنّكما لا تقولان شيئًا.

لكنّني مستيقظة.

أجل، ولكنّكِ لست على ما يرام.

يداي ترتجفان، لقد أخبرتُك بهذا.

تركض نينا في اتّجاهكما. تتقدّم كارلا متوجّهة نحوها. تُوقفها لحظة. تخبرها بأنّكِ قد غفوتِ، ومن الأفضل أن تتركاك تستريحين. تطلب من نينا أن تُريها البركة.

لا تشعر نينا بالثقة.

أجل، لا تشعر بالثقة.

أشعر بأنّ مسافة الإنقاذ تُضبَط دومًا لأنّ نينا لا تشعر بالثقة.

لكنّك لا تستطيعين عمل أيّ شيء.

لا أستطيع، لا.

إذا ما ذهبت كارلا للبحث عن مساعدة فسيكون عليها تركك وحيدة، أو تركك مع نينا. أظنّ أنّ هذا هو ما تفكّر فيه كارلا الآن، وهي لا تعرف جيّدًا ماذا تفعل.

إنّني متعَبة جدًّا، يا دافيد.

هذه لحظة جيّدة لنا الآن.

إنّني أغفو. تلحظ كارلا ذلك وتتركني لبعض الوقت كي تشغل اهتمام نينا.

لهذا السّبب هي لحظة جيّدة. هل ترينها؟

على أيّ شيء تتكلّم؟

الأسماء... على جدار قاعة الانتظار.

أهمُ الصغار الذين يأتون إلى هذه القاعة؟

بعضهم لم يعد صغيرًا.

ولكنّه الخطّ نفسه دائمًا.

إنّه خطّ إحدى الممرّضات. هم لا يستطيعون الكتابة، جميعهم تقريبًا.

لا يعرفون؟

يعرف بعضُهم. توصّلوا إلى التعلّم، ولكنّهم لا يستطيعون التحكُّم جيّدًا في أذرعهم، أو أنّهم لا يتحكّمون في رؤوسهم نفسها، أو أنّ بشرتهم رقيقة جدًّا، إذا ما ضغطوا كثيرًا على الأقلام، ينتهي بهم الأمر إلى نزف دم من أصابعهم.

- إنّني متعَبة يا دافيد.

ماذا تفعلين؟ ليست فكرة جيّدة أن تتوقّفي الآن. ليس بعد. أين تذهبين، يا آماندا؟ هذا الباب لا يمكن فتحه من الداخل، ولا يمكن فتح أيّ باب من أبوابنا من الداخل.

أطلب منك أن تتوقّف. إنّني منهكة.

لو أنّك تركّزين، فستحدث الأمور بصورة أسرع.

تنتهي عندئذ بسرعة أكبر أيضًا.

ليس الموت أمرًا بالغ السوء.

ونينا؟

هذا ما نريد معرفته الآن، أليس كذلك؟ اجلسي. أرجوك، يا أماندا، اجلسي.

أشعر بألم شديد في أحشائي، من الداخل.

إنّها الحمّى.

ليست الحمّى. كلانا يعرف أنّها ليست الحمّى. ساعدني، يا دافيد. ما الذي يحدث الآن في حظيرة الخيول؟

تلعب كارلا ونينا لبعض الوقت حول بركة الماء.

أفتح عينَيّ أحيانًا وأراهما. كارلا تحتضنها وتعانقها طوال الوقت، ومسافة الإنقاذ ما زالت متوتّرة في معدتي، توقظني مرّة بعد أخرى. ما الذي يحدث، يا دافيد؟ أخبرني بما يحدث، في بدني. قل لي أرجوك.

أقوله لك مرّة بعد أخرى، يا أماندا، ولكنّ الأمر سيكون صعبًا. إذا ما عدتِ في كلّ مرّة إلى السؤال.

أشعر كما لو أنّني أحلم.

يمرّ بعض الوقت، وتستجمعين قواك في إحدى اللّحظات، وتجلسين، فتنظران كلتاهما إليك متفاجئتين.

أجل.

تقتربان، وتداعب كارلا جبينك.

تستخدم عطرًا شذيًا جدًا.

تنظر نينا إليكِ من دون أن تقترب كثيرًا، ربّما بدأت تدرك أنّك لست على ما يرام. تقول كارلا إنّها ستذهب لإحضار السيّارة، تضحك كي تهدّئ توتّر الوضع. تقول لنفسها، بصوت عالٍ، إنّ ذلك كلّه يحدث فقط من أجل أن تتشجّع في نهاية المطاف وتقودَ سيارةً وحدها، وكي تتشجّعي أنتِ وتتناولي شيئًا في بيتها. سوف تقدّم إليك ليموناضة مثلّجة مع الزنجبيل، وسيُشفي ذلك كلّ شيء.

هذا لن يُشفي أيّ شيء.

لا، لا يشفي شيئًا. ولكنّك تشعرين بأنّ حالك أفضل قليلًا. التوعّك يذهب ويجيء، هكذا هي الحال في البداية دومًا. تقول كارلا لنينا إنّها ستتركك برعايتها، بينما تذهب هي لإحضار السيّارة. وتوضّح لنينا أنّها سوف تأتي من الجانب الآخر، عبر الدرب الترابيّ.

تقترب نينا منّي، تجلس وتحتضنني.

تتأخّر كارلا في العودة.

لكنّني لا أهتمّ، لأنّ نينا قريبة جدًّا، ونظلّ على هذه الحال وقتًا لا بأس به. إنّها مستلقية، ملتصقة بجسدي، تُطْبِق قبضتيها وترفعهما إلى عينيها كما لو أنّهما منظار مُقَرِّب.

«تروق لنا كثيرًا قمم الأشجار»، تقول.

ولكنّك تفكّرين في اللّيل.

في اللّيلة الأولى في هذا البيت، أجل، لأنّ احتضان نينا يذكّرني بمخاوفي الأولى. أتساءل إن كان في تلك المخاوف نذيرٌ ما. أمشي والمصباح اليدويّ يرسم هالة بيضاويّة أمام قدميّ. إذا ما وجّهت الضوء إلى الأمام كي أرى ما يوجد على مسافة قريبة، فسيكون من الصّعب عليّ معرفة أين أضع قدمي. صوت حفيف الأشجار، وهدير السيّارات العابرة على الطريق بين وقت وآخر، ونباح كلب ما، تؤكّد كلّها أنّ الريف يمتدّ فسيحًا بصورة هائلة في كلّ الجهات، وكلّ شيء فيه يكون على بُعد كيلومترات. ومع ذلك، أمشي مبهورةً بهالة الضوء البيضاويّة؛ بإحساس مَن تتوغّل قُدُمًا في مغارة. أنحني، وأتقدّم بخطوات قصيرة.

وماذا عن نينا؟

هذا كلُّه مرتبط بنينا.

أين هي نينا، خلال هذه المسيرة الأولى؟

تنام في البيت؛ تنام بعمق. أمّا أنا، فلا أستطيع النوم. لم أَنَم في اللّيلة الأولى. عليّ أن أعرف أوّلًا ما الذي يحيط بالبيت. إذا كان ثمّة كلاب، وهل هي موثوقة؟ وإذا كان ثمّة برك ماء، وما هو عمقها؟ وإذا كان ثمّة حشرات واخزة، أو أفاعٍ. إنّني في حاجة إلى أن أستبق أيّ شيء يمكن أن يحدث، لكن كلّ شيء مظلم جدًّا، ولم أتوصّل إلى الاعتياد. أظنّ أنّه كانت لديّ فكرة مختلفة جدًّا عن اللّيل.

لماذا تفعل الأمّهات هذا؟

أيّ شيء تعني؟

التقدُّم قُدُمًا لاستباق ما يمكن أن يحدث، مسألة مسافة الإنقاذ.

لأنَّ شيئًا رهيبًا سوف يحدث عاجلًا أو آجلًا. أخبرت جدَّتي والدتي بذلك، طوال طفولتها، وأخبرتني أمِّي أنا، طوال طفولتي، وعليّ أنا أن أهتمّ بنينا.

ولكن يفلت منكنّ ما هو مهمّ.

وما هو المهمّ، يا دافيد؟

تجلس نينا، تبحث بمنظار يديها المقرّب عن الأفق. وتصل سيارتك من الجهة الأخرى لحظيرة الخيول.

يخيّل إليّ لبرهة أنّه زوجي، وأتخيّل أنّه سيترجل ويعانق كلًّا منّا، وأتمكّن أنا من النوم مطمئنة طوال الرحلة، حتّى الوصول إلى سريري في المدينة.

ولكنّها كارلا، تترجّل من السيّارة وتتقدّم نحوكما.

إنّها حافية، وبمايوه البكيني الذهبيّ. تدور حول البركة وتدوس العشب بشيء من التوجّس، كما لو أنّها غير معتادة، أو تتذكّر بُنيته بشيء من الريبة. تنسى صندلها عند حافّة بركة السباحة.

لا، يا أماندا، هذا حدث قبلًا. فكارلا تدور الآن حول إسطبل الخيول.

لأنّني على الأرض.

بالضبط.

ولكنّني أتذكّر كارلا حافية القدمين على الدوام.

إنّها تنزل من السيّارة وتترك الباب مفتوحًا. تقترب مسرعة، وتنتظر أن تقوم نينا ببعض الإشارات التي تشير إلى مسار الأمور، لكنّ نينا تجلس عند قدميك مديرةً لها ظهرَها، من دون أن ترفع بصرها عنكِ. تساعدك كارلا على النهوض. تقول إنّ وجهك قد تغيّر الآن. تحمل الأشياء الموجودة وتمدّ يدها إلى نينا. تلتفت لترى إن كنتِ تتبعينها. تمزح معكِ.

كارلا؟

أجل، كارلا.

صحيح أنّني أشعر بتحسّن. ومرّة أخرى، نكون نحن الثلاث في السيّارة، مثلما كنّا في البدء، وأمّك في مقعد السائق. ينطفئ محرّك السيّارة في بعض المرّات، لكنّ أمّك تتمكّن أخيرًا من تحريك السيّارة إلى الوراء. كانت أمّي تقول إنّ الريف أفضل مكان لتعلّم قيادة السيّارة. وأنا تعلّمت القيادة في الريف، حين كنت صغيرة.

هذا غير مهمّ.

نعم، أتصوّر ذلك.

لا تشعر كارلا براحة كبيرة وهي تقود السيّارة.

لكنّها تفعل ذلك جيّدًا، مع أنّنا لم نسلك الطريق الذي كنت أتوقّعه.

إلى أين نذهب، يا كارلا؟

نينا جالسة في الخلف. إنّها شاحبة، انتبهتُ الآن لذلك، وهي تتعرّق. أسألها إن كانت تشعر بأنّها على ما يرام. تجلس وساقاها متقاطعتان مثل هنديّ، كما هي عادتها، وحزام الأمان مثبت كعادته

أيضًا، مع أنّني لم أطلب منها ذلك. تبذل جهدًا كي تمطّ نفسها في اتّجاهنا. تؤكّد أنّها على ما يرام بطريقة غريبة، وببطء شديد، ومسافة الأمان قصيرة جدًّا إلى حدّ يبدو معه أنّ جسدها يشدّ جسدي معه عندما ترتمي في مقعدها. تعتدل كارلا في جلستها مرّة بعد أخرى، ولكنّها لا تشعر بالاسترخاء. تنظر إليّ بطرف عينها.

ـ كارلا.

سنذهب إلى القاعة الصغيرة، يا أماندا. فلنرَ إذا كان الحظّ سيحالفنا، ونجد هناك أحدًا يُجري لك فحصًا.

لكنّهم سيقولون لك، في القاعة الصغيرة، إنّ كلّ شيء على ما يرام، وتكونون بعد نصف ساعة في الطريق من جديد متوجّهين إلى البيت.

ولكنْ، لماذا هذه القفزة؟ إنّنا نتابع هذه القصّة خطوةً خطوةً. أنت تستبق الأمور.

كلّ هذا لا أهمّيّة له، ولم يعد لدينا وقت تقريبًا.

إنّني في حاجة إلى العودة لرؤية كلّ شيء.

ما هو مهمّ قد مضى. ما تلا ذلك هو نتائج.

لماذا تواصل القصة، إذن؟

لأنّك حتّى الآن لم تدركي. ما زال عليكِ أن تفهمي.

أنا أريد أن أرى ما يحدث في القاعة الصغيرة.

لا تدعي رأسك يتهدّل، فالتنفّس في هذا الوضع يصبح أصعب.

أريد أن أرى ما الذي يحدث الآن.

سأقرّب كرسيًا.

لا، يجب الرجوع. ما زلنا في السيّارة، متوجّهين إلى القاعة الصغيرة. الحرّ شديد، والأصوات تنطفئ تدريجيًا. أكاد لا أسمع صوت المحرّك، ويفاجئني تقدُّم السيّارة بتلك السلاسة والصمت في الدرب الممهّد. تضطرّني نوبة غثيان إلى الانحناء نحو الأمام لحظة، لكنّها كافية. ملابسي ملتصقة ببدني، وانعكاس الشمس الحادّ على غطاء المحرّك يجبرني على الانحناء، وعلى إغماض عينيّ. لم تعد كارلا جالسة وراء المقود. عدم رؤيتها يُخيفني، ويُربكني. تفتح الباب من جهتي وتمسكني يداها وتشدّني. تُغلق الأبواب من دون أن يصدر عنها أيُّ صوت، كما لو أنَّ ذلك لا يحدث حقًّا. ومع ذلك، أرى كلّ شيء قريبًا جدًّا. أتساءل إذا كانت نينا وراءنا، لكنّني لا أستطيع التأكُّد ولا السؤالَ بصوت عالٍ. أرى قدمَيّ تتقدّمان، وأتساءل إذا كنت أنا من تحرّكهما. نمشي هذا الممرّ نفسَه، الذي خلفي، خارج القاعة.

اسندي رأسك هنا.

تقول نينا شيئًا عن الرسوم. سماع صوتها يبعث فيّ الطمأنينة. قذال كارلا يبتعد بضع خطوات أمامي. إنّني أتماسك وحدي، أقول لنفسي، وصورةُ يدَيَّ وهما مستندتان إلى الجدار، فوق الرسوم، تعيد إليّ حكة الجلد القويّة. كارلا قريبة جدًّا، تقول اسمي، وهناك من يسأل عمّا إذا كنت من القرية. شعرها مجموع في عقيصة، وطرفُ ياقة القميص الأبيض ملوّث بصورة طفيفة بلطخة خضراء. إنّها بسبب العشب، أليس كذلك؟ صوت آخر يتناهى إلينا من امرأة يطلب منّا

أن ندخل، وهناك هي، هناك أحسّ بيد نينا. أتمسّك بقوّة وهي من تقودني الآن. إنّها يد صغيرة جدًّا، لكنّني أثق بها. أقول لنفسي إنّها ستعرف، غريزيًّا، ما عليها عمله. أدخل حجرة صغيرة وأجلس على السرير النقّال. تسأل نينا ما الذي نفعله هنا، وأنتبه إلى أنّها كانت تسأل طوال الطريق عمّا حدث. ما أحتاج إليه هو العودة لاحتضانها، لكنّني عاجزة حتّى عن الردّ عليها. أتكلّف مشقّةً في قول ما يجب عليّ قوله. المرأة، وهي ممرّضة، تفحص ضغطي، تأخذ حرارتي، تنظر إلى حلقي وحدقتَيْ عينيّ. تسأل إذا كان رأسي يؤلمني، وأفكّر أنا في أنّه يؤلمني، كثيرًا جدًّا، لكن كارلا هي من تؤكّد ذلك بصوت عالٍ.

«لديّ صداع شديد»، أقول، فأراهنّ، ثلاثتهنّ، ينظرن إليّ.

إنّه وجع حادّ وثقيل، من القَذال في اتّجاه الصدغين، أحسُّ به الآن لأنّهم ذكروه ولم يعد في إمكاني الإحساس بشيء آخر.

كم ساعة مضت؟

منذ متى؟

منذ ما جرى أمام مكتب سوتومايور.

ساعتان منذ مغادرتنا المكتب. وأنت، أين كنت يا دافيد؟

كنتُ هنا، في انتظاركِ.

أكنت في هذه القاعة الصغيرة؟

كيف تشعرين الآن؟

أفضل، أشعر بأنّني أفضل، لأنّني أتحسّن كثيرًا في مكان بلا إنارة قويّة.

ولكن، ما زالت هنالك بضع ساعات، علينا أن نتقدّم. أهنالك شيء مهمّ لهذه اللّحظة؟

عندما أقول إنَّ لديَّ صداعًا حادًّا، تقول نينا إنّها هي أيضًا تشعر بذلك. وعندما أقول إنّني أشعر بدُوار، تقول إنّها تشعر به أيضًا. تتركنا الممرضة وحدنا برهةً، فتقول أمّك لنفسها إنّها أحسنت صنعًا بالمجيء بنا. لو أنَّ أمّك أكبر بنحو خمس سنوات لأمكن لها أن تبدو أمًّا لكلتينا. يمكن لنا، نينا وأنا، أن تكون لنا الأمُّ نفسها؛ أمٌّ جميلة، ولكنّها متعَبة، تجلس الآن لحظة وتتنهد.

«أين هو دافيد، يا كارلا؟»، أسألها.

لكنّها لا تُفاجَأ ولا تنظر إليّ، وأجد صعوبة في معرفة إذا كنت أقول حقًّا ما أفكّر فيه، أم أنَّ الأسئلة تظلّ فقط في رأسي، بكماء.

تفكّ أمّكَ عقيصة شعرها. تستخدم يديها كمشطين كبيرين، وأصابعهما الرفيعة مفتوحة ومشدودة.

ـ لماذا لستِ معه يا كارلا؟

تبعثر شعرها بحركة ساهية. إنّني أجلس على السرير ونينا تجلس إلى جانبي. لا أدري متى صعدت، ولكن يبدو أنّها هنا منذ وقت لا بأس به. تمتدُّ يداي على جانبي ساقَيّ، وتمسكان بحافّة السرير لأنّني أشعر في بعض اللّحظات بأنّي قد أسقط عنه. تجلس نينا في الوضع نفسه، ولكنّها تسند إحدى يديها فوق يدي. تنظر إلى الأرض بصمت. أتساءل عمّا إذا كانت مشتّتة الذهن أيضًا. تعود الممرضة مترنّمة بأغنية، وتفتح بين لحظة وأخرى بعضَ الأدراج بينما هي تدندن،

وتتحدّث مع كارلا التي تُعيد تشكيل عقيصة شعرها. تريد الممرّضة أن تعرف من أين نحن، وعندما تقول كارلا إنّنا لسنا من القرية، تتوقّف عن الترنّم وتظلّ تنظر إلينا، كما لو أنّه عليها، بعد هذه المعلومة، أن تبدأ المعاينة مرّة أخرى من الصفر. تحمل عقدًا فيه ثلاث صور مذهّبة لطفلتين وطفل، والثلاثة متلاصقون جدًّا، كلّ واحد منهم فوق الآخر تقريبًا، متراصّون فوق ثدييها الضخمين.

أحد صغار هذه المرأة يأتي إلى قاعة الانتظار هذه كلّ يوم.

«يجب عدم القلق»، تقول. وتعود إلى فتح الأدراج نفسها وتُخرج شريحة أقراص، كلّ ما هنالك أنّكما تعرّضتما لضربة شمس خفيفة جدًّا. أهمّ شيء هو الراحة: العودة إلى البيت، والراحة، وعدم الخوف. هنالك حوض صغير وصنبور ماء إلى الوراء قليلًا، حيث تملأ كأسَيْ ماء وتقدّم واحدة إلى كلّ منّا، ثمّ تعطي كلّ واحدة قرصَ دواء. أتساءل عمّا يجعلون نينا تتناوله.

«كارلا»، أقول، فتلتفت هي نحوي متفاجئة، وأضيف: «يجب الاتّصال بزوجي».

«أجل»، تقول كارلا، «لقد كنت أتحدّث في هذا الأمر مع نينا»، وتزعجني نبرة صوتها المتفضّلة، ويزعجني عدم نهوضها واقفة على الفور لتفعل ما توصّلتُ أخيرًا إلى الطلب منها أن تفعله.

«عليكما تناول قرص كلّ ستّ ساعات، والحذر جيّدًا من العودة للتعرّض للشمس، ومحاولة نوم قيلولة في حجرة مظلمة»، تقول الممرّضة، وتعطي كارلا شريحة أقراص الدواء.

تقبع فوق يدي يدُ نينا التي ما زال يبدو عليها أنّها تريد استبقائي. إنّها يد شاحبة ومتّسخة. جفّ الندى، وتتقاطع خطوط الوحل على الجلد من جانب إلى آخر. لم يكن ندًى، طبعًا، ولكنّك لم تعد تصحح لي. إنّني حزينة جدًّا، يا دافيد... دافيد، أشعر بالهلع عندما يمرّ وقت طويل من دون أن تقول شيئًا. تستطيع قول شيء في كلّ مرّة، لكنّك لا تفعل، وأتساءل إذا كنتُ أتكلّم وحدي.

تتأخّرن في العودة إلى السيّارة. تقتادكما كارلا ممسكة بيديكما، كلّ منكما في جانب. تتوقّفين أنت ونينا كلّ بضع خطوات، وتنتظر الجماعة كلّها عندئذٍ. بعد ذلك، على الطريق، يُبقي الدرب غير المعبد كارلا متشبّثة بالمقود بصمت. لا تقول أيّ منكنّ، أنتنّ الثلاث، شيئًا لدى المرور أمام باب البيت الذي غادرتِه هذا الصباح، وكلاب السيّد خيسيير تعبر بأقصى سرعة من تحت شجيرات الأسوِجة لتركض وتنبح على السيّارة. ولكن يبدو أنّك وكارلا لم تنتبها إليها. صارت الشمس عالية تمامًا، والحرّ يُشْعَر به كذلك من الأرض. ولكنْ، لا شيء مهمًّا يحدث، ولا شيء مهمًّا سيحدث منذ الآن. وأبدأ الاعتقاد بأنّك لن تفهمي ما حدث، وأنّ مواصلة التقدم لم يعد لها معنًى.

لكن الوقائع تواصل الحدوث. تُوقف كارلا السيّارة إلى جانب شجرات الحَوْر الثلاث في بيتها، وهناك تفاصيل كثيرة أخرى سيروق لك سماعها.

لم يعد هناك ما يستحقّ العناء.

بلى، بلى، يستحقّ. تضغط كارلا زر حزام أمانها فيعود الحزام إلى مكانه مثل سوط، ومع السوط، يعود أيضًا إدراكي الواقعَ بصفاء. نينا

نائمة في المقعد الخلفيّ. إنّها شاحبة. ومع أنّني أتلفّظ باسمها أحيانًا، إلّا أنّها لا تستيقظ. الآن، وقد جفّ ثوبها تمامًا، أرى على القماش حائلِ اللّون هالَاتٍ هائلةً وغير منتظمة الشكل كصورة متجمّدة لحشد ميدوزات كبير شعرها من الأفاعي.

الحقيقة، يا أماندا، لا معنًى لهذا.

لديّ حَدْس، يجب أن أتابع.

«سأحمل هذه الطفلة الربّانيّة»، تقول أمّك وهي تفتح المقعد الخلفيّ وتضع ذراع نينا وراء كتفها وتُخرجها من السيّارة. «ستنامان قيلولة جيدة».

يجب أن أذهب من هنا، أفكّر. هذا هو كلّ ما أفكّر فيه بينما أراها تغلق بصعوبة بابَ السيّارة بطرف قدمها، وتمشي في اتّجاه البيت حاملةً ابنتي. تتوتّر مسافة الإنقاذ، والخيط الذي يربط بيننا يدفعني أنا أيضًا إلى الوقوف. أمضي وراءها من دون أن أرفع بصري عن ذراع نينا الصغيرة المتدلّية على ظهر كارلا. لا وجود لعشب حول البيت. كلّ ما هناك أرض وتراب. البيت في الواجهة وعنبر صغير على أحد جانبيه. في العمق تُرى الأسوِجة التي كانت مقامة من أجل الخيول، ولكن لا وجود لأيّ حيوان في مجال الرؤية. أبحث عنكَ. يُقلقني احتمال أن أجدك في البيت. أريد استعادة نينا والعودة مرّة أخرى إلى السيّارة. لا أريد الدخول. لكنّني في حاجة شديدة إلى الجلوس. أحتاج بشدّة إلى الهروب من الشمس، وتناول شيء بارد. ويدلف جسدي وراء نينا.

هذا غير مهمّ.

أعرف، يا دافيد، ولكن يجب أن تسمع كلّ شيء، في أيّ حال.

تتأخّر عيناي في الاعتياد على عتمة البيت. هناك أثاث قليل وكثير من الأشياء. أشياء شديدة القبح ولا فائدة منها: زيناتُ ملائكة؛ عُلَبٌ بلاستيكيّة مختلفة الألوان مصفوفة كأدراج؛ أطباقٌ مذهّبة ومفضّضة مسمّرة على الجدار؛ زهورٌ بلاستيكيّة في آنية خزفيّة ضخمة. كنت أتخيّل بيتًا آخر مختلفًا لأمّك. تضع كارلا نينا على أريكة. إنّها أريكة من الخيزران، وعليها وسائدُ كبيرة. في مواجهتي، في المرآة البيضاويّة، أرى نفسي محمّرة ومتعرّقة، وأرى خلفي السيور البلاستيكيّة التي تشكّل ستارة باب المدخل، وبعيدًا فيما وراءها، أشجار الحور والسيّارة. تقول كارلا إنّها ستذهب لإعداد الليموناضة. المطبخ يُفتح في اتّجاه اليسار، أراها تُخرج قالب ثلج من الثلّاجة.

«كان يمكن لي أن أرتّب المكان قليلًا لو علمت بأنّك ستأتين»، تقول وهي تمدّ قامتها لتمسك فنجانين من أحد الرفوف.

أتقدّم خطوتين في اتّجاه المطبخ وأصير إلى جوار كارلا تقريبًا. كلّ شيء صغير وقاتم.

ـ ولكنتُ أعددت شيئًا شهيًا. لقد كلمتك على بسكويت الزبدة الذي أصنعه، هل تتذكّرين؟

إنّني أتذكّر. حدّثتني عن ذلك يوم تعارفنا. كنّا أنا ونينا قد وصلنا ذلك الصباح. أمّا زوجي، فلن يأتي حتّى يوم السبت. كنت أفتّش في صندوق البريد، لأنّ السيد خيسيير قال إنّه سيترك لنا فيه نسخةً ثانية من مفاتيح البيت، تحسّبًا لأيّ أمر، عندما رأيت أمّك أوّل مرّة. كانت آتية من بيتها حاملةً دلوين بلاستيكيّين فارغين، وسألتني إذا كنت قد

شممت رائحة الماء. تردَّدتُ، لأنَّنا كنَّا قد شربنا قليلًا منه فور وصولنا، أجل، ولكن كلّ شيء كان جديدًا. وإذا كانت للماء رائحةٌ مختلفة، فمن المحال بالنسبة إلينا أن نعرف إن كان ثمّة مشكلة في ذلك، أم لا. هزّت كارلا رأسها قَلِقة وواصلت على الطريق المحاذي لعقار بيتنا. وعند عودتها، كنت أقوم بترتيب أشيائنا في المطبخ. رأيتها من خلال النافذة تترك الدلوين لتفتح البوابة، ثمّ تركتهما ثانية لإغلاقها. كانت طويلة ونحيلة. وعلى الرّغم من أنّها تحمل دلوًا في كلّ جانب، ويبدو الآن أنّهما ممتلئان، فإنّها تمشي منتصبة القامة ومتأنّقة. فردتا صندلها المذهّب رسمتا خطًّا مستقيمًا بصورة نزوية، كما لو أنّها تجرّب نوعًا من الخطو أو الحركة. وحين وصلتْ إلى الرواق فقط، رفعت بصرها وتبادلنا النظرات. أرادت أن تترك لي أحد الدلوين. قالت إنَّ من الأفضل عدمَ استخدام الماء هذا اليوم، وألحّت كثيرًا فانتهى بي الأمر إلى القبول، وتساءلتُ للحظة إذا كان عليّ أن أدفع إليها في مقابل الماء، أم لا. وعرضت عليها، في المقابل، لخشيتي من إغضابها، إعدادَ بعض كؤوس الليموناضة المثلّجة لنتناولها الساعة الثالثة. وقد تناولناها خارجًا ونحن نضع أقدامنا في ماء بركة السباحة.

ـ إنّني أصنع بسكويتًا بالزبدة لذيذًا جدًّا ـ قالت كارلا ـ، يتناسب تناولها مع هذه الليموناضة؟

«نينا مفتونة بالبسكويت»، قلت.

«أجل، إنّه يفتننا»، قالت نينا.

تهاويت في مطبخ بيتكم على الكرسيّ، إلى جانب النافذة. وقدّمت إليّ أمّك الشاي مثلّجًا والسكر.

ـ أضيفي إليه كثيرًا من السكر ـ تقول كارلا ـ، إنّه ينشّط.

ولأنّ كارلا ترى أنّني لا أفعل ذلك، تجلس على الكرسيّ الآخر وتقوم هي بإضافة السكر. تحرّك الشاي وتنظر إليّ بطرف عينها.

أتساءل إذا كنتُ سأتمكّن من الوصول إلى السيّارة، معتمدةً على نفسي. وعندئذ أرى القبور. أنظر بكلّ بساطة إلى الخارج وأتعرّف إليها.

إنّها ثمانية عشر قبرًا.

ثمانية عشر قبرًا، أجل. وتعرف كارلا أنّني أنظر إليها. تدفع الشاي نحوي، لا أراه، ولكن اقترابه الجليديّ يملأني بالاشمئزاز. وأفكّر: لن أستطيع. أشعر بكثير من الحزن من أجل أمّك، ولكن سيكون من المحال تمكُّني من تناول أيّ شيء، ومع ذلك أشعر بظمأ شديد. تنتظر كارلا. تحرّك شايها ونظلّ لبعض الوقت صامتتين.

ـ أشتاق إليه كثيرًا ـ تقول أخيرًا، وأجد صعوبة في فهم ما تقوله ـ. تفحّصت جميع الصّبْية الذين في مثل عمره، يا أماندا، جميعهم.
ـ أتركها تتكلّم وأعدُّ القبور مرّة أخرى ـ. ألاحقهم خفية عن آبائهم، أكلّمهم، أمسكهم من أكتافهم، كي أنظر جيدًا إلى عيونهم.

يجب أن نتقدّم. إنّنا نضيّع الوقت.

تنظر أمّك الآن أيضًا نحو الفناء الخلفيّ.

ـ وهي قبور كثيرة، يا أماندا. أعلّق الملابس دومًا وأنا أنظر إلى الأرض لأنّني، أقول لك، إذا ما دست على إحدى هذه الجُثى...

«إنّني في حاجة إلى الذهاب إلى الأريكة»، أقول.

تساعدني أمّك على النهوض فورًا وترافقني. وأتهاوى على الأريكة بجهد أخير.

عندما أقول ثلاثة، تساعدينني على إنهاضك.

توسدني كارلا بوضع مريح.

واحد.

تقدّم إليّ وسادة.

اثنان.

أمدّ ذراعي، وأحتضن نينا وأشدُّها إلى جسمي قبل أن أغفو تمامًا.

ثلاثة. تشبّثي بالكرسيّ، هكذا... اجلسي. أترينني؟ أماندا؟

أجل، أراك. إنّني متعبة جدًّا، يا دافيد. وتداهمني كوابيس مرعبة.

ماذا ترين؟

ليس هنا، فهنا أراك أنت، عيناك حمراوان جدًّا، يا دافيد، ولم يبقَ لك رموش تقريبًا.

في الكوابيس.

أرى أباك.

هذا، لأنه في البيت. الوقت ليلٌ وأبواي ينظران إليكما نائمتين على الأريكة، ويتناقشان.

أمّكَ تفتّش حقيبتي.

لا تفعلُ شيئًا سيّئًا.

أجل، أعرف ذلك. أظنّ أنّها تبحث عن شيء. أتساءل إذا كان عليها أخيرًا أن تتّصل بزوجي. هذا هو كلّ ما عليها فعله. أقلت لها ذلك مرّات كافية؟

قلتِه في البدء، وهي تحاول الآن العثور على رقم هاتف.

يجلس أبوكَ قبالة الأريكة وينظر إلينا. ينظر إلى شايي الذي لم يُمَس بعد على المنضدة. ينظر إلى حذائي، وقد خلعته أمّك من قدميّ وتركته إلى جانب الأريكة. وينظر إلى يدي نينا. أنت تشبه أباك كثيرًا.

أجل.

له عينان كبيرتان. ومع أنّه كان يفضّل ألّا نكون هناك، إلّا أنّه لا يبدو مذعورًا. أغفو للحظات، والأنوار الآن مطفَأة، وكلّ شيء مظلم، والوقت ليلٌ، ولا يبدو أنّهما في البيت. أظنّ أنّني أراك. هل أراك؟ إنّك إلى جانب الستارة البلاستيكيّة، إنّما لم يعد هناك نور في الخلف، ولم تعد تظهر أشجار الحور ولا الزروع. تمرّ الآن أمّك إلى جانبي، وتفتح النافذة المطلّة على ما وراء البيت. ولكنّ الهواء يعبق بعد لحظات برائحة الخزامى. أسمع صوت أبيك. هنالك الآن شخص آخر. إنّها امرأة قاعة الطوارئ. إنّها في بيتكم وتقترب أمّكَ حاملةً كأسَ ماء. تسألني كيف أشعر. أبذل جهدًا وأستوي جالسة. أبتلع قرص دواء آخر من الشريحة، يعطون قرصًا مثله لنينا أيضًا. إنّها تبدو في حالة أفضل قليلًا وتسألني شيئًا لا أستطيع الإجابة عنه.

المفعول يذهب ويجيء، إنّكما مسمّمتان.

أجل، لماذا يعطوننا، إذن، دواءً من أجل ضربة شمس؟

لأنّ الممرّضة امرأة شديدة البلاهة.

أعود بعد ذلك إلى النوم.

عدّة ساعات.

أجل. ولكن أين الممرضة؟ والصّبْية الذين يأتون إلى هذه القاعة، هل هم صِبْية مسمّمون؟ كيف يمكن ألّا تنتبه لذلك؟

ليسوا جميعهم يعانون التسمّم. بعضهم وُلد مسمّمًا، بفعل شيء استنشقته أمّهاتهم من الهواء، أو بسبب شيء أكلوه، أو لمسوه.

أستيقظ عند الفجر.

توقظك نينا.

«أنذهب يا مامي؟» تقول، وتهزّني.

أشعر بالامتنان. تقولها بما يشبه الأمر، وأشعر كما لو أنّها قد أنقذت حياة كلتينا. أرفع إصبعًا إلى شفتيّ كي أشير إليها بأنّ علينا الاحتفاظَ بالصمت.

تشعران ببعض التحسّن، ولكنّه تأثير يذهب ويجيء.

ما زلت أشعر بدُوار شديد، ويجب أن أقوم ببعض المحاولات كي أتمكّن من الوقوف. أشعر بحكّة في عينيّ وأفركهما مرّتين. لا أدري كيف تشعر نينا. تعقد رباط حذائها مع أنّها ما زالت لا تفعل ذلك جيّدًا. إنّها شاحبة، لكنّها لا تبكي، ولا تقول شيئًا. لقد تمكّنتُ من النهوض والوقوف. أساعد نفسي بالاستناد إلى الجدار، وإلى المرآة البيضاويّة، وإلى عمود المطبخ. مفاتيح السيّارة إلى جانب المحفظة.

أحمل كلّ شيء ببطء شديد، محاذرةً ألّا أصدر أيّ ضجيج. أشعر بيد نينا على ساقيّ. الباب مفتوح، نجتاز ستارة شرائط البلاستيك الطويلة منحنيتين، كما لو أنّنا نخرج من كهف بارد وعميق في اتّجاه الضوء. تفلتني نينا فور مغادرتنا البيت. السيّارة غير مقفلة، وندخل، كلتانا، من باب السّائق. أُغلق الباب، وأدير المحرّك، وأخرج متراجعة إلى الخلف بضعة أمتار، حتّى الدرب الممهّد. وأنظر من خلال المرآة العاكسة إلى بيت أمّكَ آخر مرّة قبل أن أنعطف. وأتخيّلها للحظة خارجةً بالروب البيتيّ، تشير إليّ من باب البيت بنوع من الإيماء. لكن كلّ شيء يبدو جامدًا بلا حراك. تنتقل نينا وحدها إلى المقعد الخلفيّ وتضع حزام الأمان.

«أريد ماء يا مامي»، تقول وتقاطع ساقيها على المقعد.

وأفكّر أنا في أن نعم. بالطبع، هذا ما نحتاج إليه الآن. فمنذ ساعات طويلة، لم نشرب ماءً. سنشتري بضع قوارير في القرية. أنا أيضًا عطشى. أقراص ضربة الشمس ظلّت على منضدة المطبخ، وأتساءل إذا لم يكن من الأفضل تناول جرعة أخرى قبل الخروج إلى الطريق العامّ. وتنظر نينا إليّ عابسةً.

- أأنت على ما يرام يا نينا؟ يا حبّي؟

تمتلئ عيناي بالدّموع، لكنّني لا أعيد السّؤال. إنّنا قويّتان، نينا وأنا، أقول هذا لنفسي، وأنا أترك الدرب الممهّد، وتصل السيّارة أخيرًا إلى أسفلت القرية. لا أدري كم الساعة، ولكن لا يوجد أحد في الشارع بعد. أين يمكن شراء ماء في قرية جميع مَن فيها نيام؟ أفرك عينيّ.

لأنكِ لا ترين جيّدًا.

أبدو كما لو أنّني في حاجة إلى غسل وجهي. هنالك ضياء قويّ، بحيث لا يبدو أنّ الوقت باكر جدًّا.

ولكن لا وجود لضياء قويّ، إنّهما عيناكِ.

هنالك ما يضايقني في عينَيّ. بريق الأسفلت ومجاري التصريف على جانبي الطريق. أُنزلُ الواقية من أشعّة الشمس وأبحث عن نظّارتي في حقيبة السيارة. كلّ حركة إضافيّة تتطلّب جهدًا عظيمًا. يُجبرني الضوء على إغماض عينيّ نصف إغماضة، فأجد صعوبة في قيادة السيّارة وأنا في هذه الظروف. والجسد يا دافيد. أشعر بحكّة شديدة في بدني. أهي الديدان؟

ما تحسّين به يشبه الشعور بالديدان؛ ديدان دقيقة في الجسد كلّه. خلال دقائق قليلة ستكون نينا وحدها في السيّارة.

لا، يا دافيد. لا يمكن حدوث هذا. ما الذي ستفعله نينا وحدها في السيّارة. لا، أرجوك، لقد حان الوقت. لا؟ إنّه الآن. هذه هي المرّة الأخيرة التي أرى فيها نينا. هنالك شيء ما إلى الأمام قليلًا على الشارع، بالوصول إلى الناصية. أمضي ببطء أقلّ، وأغمض عينيّ أكثر. الوضع صعب، يا دافيد، يؤلم بشدّة كبيرة.

هل نحن؟

مَن؟

من يعبرون الشارع.

إنّهم جماعة من الناس. أُوقف السيّارة وأنظر إليهم، يعبرون على بُعد سنتمترات من السيّارة. جميعهم صغار تقريبًا. ما الذي يفعلونه بمرورهم جميعهم معًا، في مثل هذه الساعة؟

يأخذوننا إلى قاعة الانتظار. يتركوننا هناك قبل أن يبدأ النهار. إذا كان أمامنا يوم سيّئ فسوف يعيدوننا أوّلًا، ولكنّنا لن نصل إلى البيت، على العموم، قبل حلول اللّيل.

تحرص سيّدة، في كلّ جانب، على أن يكون اجتياز الطريق آمنًا.

من الصعب العناية بنا في البيوت، بل إنّ بعض الآباء لا يعرفون كيف يفعلون ذلك.

تضع السيّدات الإزار نفسه الذي تضعه امرأة قاعة الطوارئ.

إنّهنّ الممرّضات.

إنّهم صِبْية من كلّ الأعمار. من الصعب الرؤية. أنحني فوق المقود. أهنالك صِبْية أصحّاء أيضًا، في القرية؟

نعم، هنالك بعضهم.

أيذهبون إلى المدرسة؟

أجل، ولكن قلّة قليلة من الأطفال هنا يولَدون أصحّاء.

«مامي؟»، تتساءل نينا.

لا وجود لأطبّاء، وامرأة «البيت الأخضر» تفعل ما تستطيعه.

عيناي تبكيان وأضغط عليهما بكلتا يدي.

ـ مامي، إنّها الطفلة ذات الرأس الضخم.

أفتح عينيّ لثانيةٍ. هنالك برد. طفلة متجر «كاسا أوغار» تقف هادئة أمام السيّارة وتنظر إلينا.

ولكنّني أدفعها.

أجل، صحيح، إنّك أنتَ التي تدفعينها.

يجب دفعها على الدوام.

إنّهم صِبْية كثيرون.

عددنا ثلاثة وثلاثون، ولكن العدد يتغيّر.

إنّهم صِبْية غريبو الأطوار. إنّهم، لا أدري، ثمّة تأجّج شديد. صِبْية بتشوُّهات. لا رموش لهم، لا حواجب. البشرة محمرّة، شديدة الحمرة، وحرشفيّة أيضًا. قلّة قليلة منهم مثلك.

كيف أنا، يا آماندا؟

لست أدري، يا دافيد، ألست أكثر طبيعيّة؟ يعبر آخرهم. تعبر أيضًا المرأة الأخيرة، وقبل أن تتبع الصغار، تظلّ دقيقة تنظر إلينا. أفتح باب السيّارة. يبدأ كلّ شيء بالظهور أبيضَ. لا أتوقّف عن فرك عينيّ لأنّ لديّ إحساسًا بوجود شيء داخلهما.

تشعرين به كديدان.

أجل، لو كان لديّ ماءٌ لاستطعت غسلهما. أخرج وأستند إلى السيّارة. أفكّر في النساء.

الممرّضات.

«مامي...» نينا تبكي.

ربّما في استطاعتهن إعطائي بعضَ الماء، ولكنّني أجد مشقّة في التفكير، يا دافيد. أشعر بكثير من الضجيج، وكثير من الظمأ، وكثير من الغم، ونينا لا تتوقّف عن مناداتي، وأنا لا أستطيع النظر إليها، إذ لم يعد هناك عمليًا أيُّ شيء يمكن رؤيته. هنالك بياض في كلّ الجهات، وقد صرت أنا الآن من تنادي نينا. أتلمّس السيّارة وأحاول العودة للدخول إليها.

«نينا، نينا»، أقول.

كلّ شيء شديد البياض. يدا نينا تلمسان وجهي فأزيحهما بجفاء.

- نينا - أقول لها - اقرعي جرس أحد البيوت. اقرعي الجرس واطلبي منهم أن يتّصلوا ببابا.

«نينا»، أقولها مرّة بعد أخرى، لمرّات كثيرة. ولكن، أين هي نينا الآن، يا دافيد؟ كيف استطعت البقاء بلا نينا طوال هذا الوقت؟ دافيد، أين هي؟

جاءت كارلا لرؤيتك فور علمها بأنّهم قد أتوا بك مرّة أخرى إلى القاعة الصغيرة. لقد مضت سبع ساعات، منذ غيبوبتك حتّى مجيء كارلا، ومضى أكثر من يوم منذ لحظة التسمّم. ترى كارلا أنّ هذا كلّه مرتبط بصِبْية قاعة الانتظار، وبموت الخيول والكلب والبطوط، وبالابن الذي لم يعد ابنها ولكنّه ما زال يعيش في بيتها. تعتقد كارلا أنّ ذلك كلّه قد حدث بسببها، وأنّ تبدُّلي في ذلك المساء من جسد إلى جسد آخر قد غيّر شيئًا آخر؛ شيئًا صغيرًا وغير مرئيّ راح يدمّر كلّ شيء.

وهل هذا صحيح؟

هذا ليس ذنبها. إنّه مرتبط بشيء أسوأ بكثير.

وماذا عن نينا؟

هكذا جاءت كارلا على الفور، وحين رأت أنّك آخذة بالوهن والخمود، وأنّك تتعرّقين محمومة، وأنّك تهذين معي، توصلت إلى القناعة بأنّ المهمّ هو التكلّم مع امرأة «البيت الأخضر».

هذا صحيح، إنّها تجلس عند أقصى السرير، وتقول إنّ التكلّم إلى امرأة «البيت الأخضر» هو أفضل ما يمكننا عمله. إنّها تريد الآن أن تعرف إذا كنتُ أوافق على ذلك. ما الذي تعنيه بهذا، يا دافيد؟

أترينها؟ أترين الآن من جديد؟

أرى قليلًا، ما زال كلُّ شيء أبيضَ، ولكنّني لم أعد أشعر بوخز في عينَيّ. هل أعطوني شيئًا ما لتهدئة الوخز؟ أرى هيئات شخوص ضبابيّة. أتعرّف إلى هيئة أمّك، إلى صوتها. أقول لها أن تتّصل بزوجي، وتهرع كارلا عمليًا نحوي. تمسك بيديّ، وتسألني كيف حالي.

ـ اتّصلي بزوجي يا كارلا.

أقول هذا، أجل أقوله.

وتتّصل به. تقولين لها الرّقم عدّة مرّات إلى أن تسجّله، وتتمكّن من الاتّصال به، وتعطيكِ الهاتف.

أجل، هذا صوته، أخيرًا صوته. أبكي بشدّة وهو لا يستطيع أن يفهم ما الذي يحدث. إنّني في أسوأ حال، انتبهَ لذلك، وأقوله له. هذا ليس ضربة شمس، يا دافيد. ولا يمكنني التوقّف عن البكاء. أبكي كثيرًا، فيصرخ بي عبر الهاتف، يأمرني بالتوقّف، وأن أشرح له ما الذي يحدث. يسأل عن نينا. أين هي نينا، يا دافيد؟

وهكذا تنتزع كارلا الهاتف منكِ، بنعومة، وتحاول التكلُّم مع زوجك. تشعر بالارتباك، ولا تدري ماذا تقول له.

تقول له إنّني لست على ما يرام، وإنّه لا وجود لأطبّاء في القاعة اليوم، ولكنّهم أرسلوا يستدعون واحدًا. تسأل زوجي إذا كان سيأتي. يقول نعم، ونينا على ما يرام. أترى يا دافيد، أترى أنّ نينا على ما يرام. صارت كارلا الآن قريبة جدًّا. أين أنتَ؟ أتعرف أمّك أنّك معي؟

معرفتها ذلك لن تفاجئها. تقول لنفسها إنّني أنا وراء كلّ هذه الأمور التي تحدث. وإنّ ما أنزل اللعنة على هذه القرية في السنوات العشر الأخيرة هو الآن في داخلي.

تجلس على السرير، قريبًا جدًّا منّي. ومرّة أخرى، تفوح رائحة عطر مرهم الحماية من الشمس. ترتّب شعري وأصابعها باردة، لكن ذلك متعة. وصلصلة أساورها. أأنا محمومة جدًّا يا دافيد؟

«أماندا»، تقول أمكَ.

أظنّ أنّها تبكي، هنالك ما يُكبح في صوتها حين تلفظ اسمي. تلحّ مثل امرأة البيت الأخضر. تقول إنّه لم يتبقّ سوى وقت قليل.

معها حقّ.

ـ يجب عمل ذلك سريعًا ـ تقول، وتمسك بيديّ. يداها باردتان وتشدّان على يديّ، متعرقتين، تداعبان معصمي ـ. قولي لي إنّك موافقة، إنّني في حاجة إلى موافقتك.

أظنّ أنّها تريد أن تأخذني إلى «البيت الأخضر».

ـ سأظلّ في جسدي، يا كارلا.

أنا لا أؤمن بهذه الأمور، هذا ما أريد قوله لها. ولكن، يبدو لي أنّها لا تتوصّل إلى سماع ذلك.

ـ آماندا، أنا لا أفكّر فيك وإنّما في نينا ـ تقول أمّك ـ. سألتُ عن نينا مذ علمتُ بأنّهم قد جاؤوا بكِ إلى هنا، لكن أحدًا لا يعرف أين هي. بحثنا عنها بسيارة السيّد خيسيير.

يزداد الخيط توتّرًا أكثر فأكثر.

كانت جالسة على الحبل، على بُعد عدّة كوادرات من المكان الذي ركنوا فيه سيّارتك.

ـ عندما أجد ابني دافيد الحقيقيّ، يا آماندا ـ تقول لي أمّك ـ، لن تكون لديّ شكوك في أنّه هو ـ وتشدّ على يدي بقوّة، كما لو أنّني سوف أسقط أرضًا بين لحظة وأخرى ـ. عليكِ أن تدركي أنّ نينا لن تتحمّل لساعات طويلة أخرى.

«أين هي نينا؟»، أسألُ، ومئات دبابيس الألم تشعّ من الحنجرة حتّى أطراف بدني.

أمّك لا تطلب موافقتي. إنّها تطلب معذرتي، بسبب ما يحدث الآن، في البيت الأخضر. أُفلت يديها. تتعقّد مسافة الإنقاذ، بصورة فظّة، حتّى إنّني أتوقّف لحظة عن التنفّس. أفكّر في الخروج، في النزول عن السرير. ربّاه، أفكّر. يا ربّ. عليّ إخراج نينا من ذلك البيت.

لكن بعض الوقت يمرّ قبل أن تتمكّني من الحركة. المفعول يجيء ويذهب، الحمّى تجيء وتذهب.

عليّ أن أتكلّم مرّة أخرى مع زوجي. يجب أن أخبره أين هي نينا. الألم يعود، إنّه ضربة بيضاء على الرأس، متقطّعة، تسبّب لي العمى لثوانٍ.

«أماندا...»، تقول كارلا.

«لا، لا»، أقول: لا. وأكرّرها مرّة بعد أخرى.

مرّات كثيرة جدًّا.

أتراني أصرخ؟

باسم نينا.

تحاول كارلا احتضاني، وأجد صعوبة في إبعادها عنّي. يسخُنُ بدني بحرارة لا تطاق، وتلتهب الأصابع تحت الأظفار.

لكنّكِ لا تتوقّفين عن الصراخ، وها هي إحدى الممرّضات في الحجرة.

إنّها تتكلّم مع كارلا. ما الذي تقوله يا دافيد، ماذا تقول؟

تقول إنّ هنالك طبيبًا قادمًا في الطريق.

ولكن لا أمل لي الآن.

الألم يذهب ويجيء، وها هي كارلا تمسك يديك من جديد.

أرى يدي نينا للحظة. هي ليست هنا، لكنّني أرى يديها بكلّ وضوح. يداها الصغيرتان متّسختان بالطين.

أم إنّهما يداي المتّسختان عندما أطْلَلْتُ على المطبخ، وبحثت عن كارلا من العتبة من دون أن أفلت الجدار.

ليس صحيحًا، إنّهما يدا نينا، أستطيع رؤيتها.

«كان هذا ما يجب عمله»، تقول كارلا.

إنّه يحدث الآن. لماذا أصابع نينا مليئتان بالوحل؟ ما رائحة يدَيِ ابنتي؟

ـ لا، يا كارلا. لا، أرجوكِ.

يبتعد السقف وجسمي يغرق في ظلمة السرير.

«إنّني في حاجة إلى أن أعرف إلى أين ستذهب»، أقول.

يسود كلَّ شيء صمتٌ مطبق عندما تنحني كارلا فوقي.

ـ هذا غير ممكن يا آماندا، لقد أخبرتك بأنّ هذا غير ممكن.

تتحرّك أذرُع مروحة السقف ببطء، والهواء لا يصل.

«عليكِ أن تطلبيه من المرأة»، أقول.

ـ ولكن يا آماندا...

ـ عليك أن تتوسّل إليها.

يقترب أحدٌ من الممرّ. وقع الخطوات خافت، يكاد لا يُسمَع، لكنّني أستطيع سماعه بدقّة؛ مثل خطواتك في «البيت الأخضر»: قدمان صغيرتان ومبلّلتان فوق أرضيّة الخشب المتشظّي.

ـ فلتحاول تركها أقرب ما يمكن.

أيمكنك التوشط، يا دافيد؟ أيمكنك ترك نينا قريبة؟

قريبة ممّن؟

قريبة، قريبة من البيت.

ممكن.

بطريقة ما، أرجوك.

ممكن، *ولكن هذا لن يفيد في شيء*.

أرجوك، يا دافيد. هذا آخر ما أستطيع قوله، أعرف أنّه آخر ما أقوله، أعرف قبل ثانية من قوله. كلّ شيء سيظلّ صمتًا، في النهاية؛ صمتا مديدًا ومتناغمًا. لم يعد هناك أذرع ولا مروحة سقف. ولا وجود للمريضة، ولا لكارلا. الملاءات لا وجود لها، ولا السرير، ولا الغرفة. الأحداث لم تعد تحدث. وحده جسدي الموجود، يا دافيد.

ماذا؟

إنّني متعَبة جدًا. ما هو المهمّ، يا دافيد؟ أحتاج إلى أن تقوله، لأنّ طريق العذاب قد انتهى، أليس كذلك؟ إنّني في حاجة إلى أن تقوله لي، وأريد بعد ذلك أن يسود الصمت.

سأدفعك الآن، أنا أدفع البطوط، وأدفع كلب السيّد خيسيير، والخيول.

وطفلة «كاسا هوغار». أليس سمًّا؟ وهو في كلّ مكان، أليس كذلك، يا دافيد؟

كان السّم موجودًا على الدوام.

أهو شيء آخر، إذن؟ هل لأنّني أقدمت على فعل خبيث؟ أكنتُ أمًّا سيّئة؟ أهو شيء تسبّبت به أنا؟ مسافة الإنقاذ.

الألم يذهب ويجيء.

حين كنّا على العشب أنا ونينا، ما بين الغالونات. ذهبت مسافة الإنقاذ: لم تكن تعمل. لم أرَ الخطر. وهناك الآن شيء أكثر في جسدي؛ شيء يتفعّل من جديد، أو ربّما يتعطّل؛ شيء حادّ ولامع.

إنّه الألم.

لماذا لم أعد أشعر به؟

إنّه ينغرس في المعدة.

أجل، يثقبها ويفتحها، لكنّني لا أشعر به. يرجع نحوي بتوتُّر أبيض وجليديّ، يصل حتّى العينين.

ألمسْ يديكِ، إنّني هنا.

والآن الخيط، خيط مسافة الإنقاذ.

أجل.

هذا أشبه بربط المعدة من الخارج. يضغط عليها.

لا ترتعبي.

يشنقها، يا دافيد.

يوشك أن ينقطع.

لا، غير ممكن. لا يمكن لهذا أن يحدث للخيط، لأنّي أنا أمُّ نينا، ونينا هي ابنتي.

هل فكّرتِ يومًا في أبي؟

في أبيك؟ هنالك ما يشدّ الخيط بقوّة أكبر واللّفافات تضيق. الخيط سيُقَطّع معدتي.

الخيط سينقطع أوّلًا. تنفّسي.

لا يمكن لهذا الخيط أن ينقطع. نينا هي ابنتي. ولكن، أجل، ربّاه، إنّه ينقطع.

لم يبقَ الآن سوى وقت قصير جدًّا.

إنّني أموت؟

أجل. بقيت ثوانٍ، ولكن ما زال في إمكانكِ فهمُ ما هو مهمّ. سأدفعكِ إلى الأمام لتتمكّني من سماع أبي.

لماذا أبوك؟

يبدو لك فظًّا وبسيطًا، ولكن ذلك بسبب أنّه رجل فقد خيوله.

هنالك شيء ينفصل.

إنّه الخيط.

لم يعد ثمّة توتُّر. لكنّني أشعر بالخيط. ما زال الخيط موجودًا.

أجل، ولكن لم يبقَ سوى قليل من الوقت؛ ثوانٍ فقط من الضياء. عندما يتكلّم أبي لا تَنْتهي عنه.

صوتك ضعيف، لم أعد أستطيع سماعك جيّدًا.

أعيريني انتباهك، يا أماندا، لثوانٍ قصيرة فقط. أترين شيئًا الآن؟

هذا زوجي.

إنّني أدفعكِ نحو الأمام، أترين؟

أجل.

سيكون هذا هو الجهد الأخير. هذا آخر ما سيحدث.

أجل، أراه. إنّه زوجي، يقود سيارتنا. يدخل القرية. هل يحدث هذا حقًّا؟

لا تقطعي القصّة.

أراه بوضوح وصفاء.

لا ترجعي إلى الوراء.

إنّه زوجي.

أخيرًا، لن أكون موجودًا هنا.

ولكن، يا دافيد...

لا تضيّعي المزيد من الوقت في التحدُّث إليّ.

إنّه يتّخذ طريق الجادة ويتقدّم ببطء. أراه بوضوح شديد. تضطرّه الإشارة المروريّة إلى التوقُّف. إنّها إشارة المرور الوحيدة في القرية، وهناك عجوزان يعبران الشارع ببطء وينظران إليه. ولكنّه ساهٍ، ينظر إلى الأمام، لا يزيح نظره عن الطريق. يتجاوز الساحة والسوبرماركت ومحطةَ خدمة السيّارات. يتجاوز قاعة الطوارئ. يتّخذ الطريق غير المعبّد، إلى اليمين. يقود السيارة ببطء وبخطٍّ مستقيم. لا يتفادى الحفر، ولا المطبّات الصغيرة. وتخرج كلاب السيّد خيسيير، بعيدًا عن القرية، لتركض خلفه وتنبح على العجلات، لكنّه يحافظ على السرعة. يتجاوز البيت الذي استأجرته مع نينا. لا ينظر إليه. يصير البيت وراءه ويبدأ برؤية بيت كارلا. يتّخذ الطريق الترابيّ ويصعد المرتفع. يترك السيّارة إلى جانب الأشجار ويطفئ المحرّك. يفتح باب السيّارة. إنّه واعٍ لتضخُّم الأصوات: عندما يقفل السيّارة، يرجع صدى «كليك» القفل من الزرع. ينظر إلى البيت الوسخ والقديم، ومناطق السطح المرمّمة بصفائح معدنيّة. وتبدو السماء في الخلف قاتمةً على الرّغم من أنّه منتصف النهار. هنالك داخل البيت بعض الأنوار المضاءة. إنّه عصبيّ، ويعرف أنَّ من المحتمل وجودَ من ينظر إليه. ينظر إلى الباب المفتوح وستارة الشرائط البلاستيكيّة المربوطة بالجدار، قبل أن يصعد

درجات الممرّ الثلاث الخشبيّة. هنالك جرس صغير معلّق بالسقف، ولكنّه لا يشدّ حبل القنّب. يصفّق مرتين، فيتناهى من الداخل صوت وقور يقول «تفضّل، ادخل». رجل في سنّ متقدّمة موجود في المطبخ، يبحث عن شيء في الخزائن من دون أن يوليه اهتمامًا. إنّه عمر، أبوك يا دافيد، ولكن لا يبدو أنّ أيًّا منهما يعرف الآخر.

«أيمكنني تبادل الحديث مع حضرتك؟» يسأل زوجي.

لا يجيب أبوك، ويفضّل زوجي عدم العودة إلى السؤال. يقوم بحركة من يريد الدخول، لكنّه يتردّد لحظة. المطبخ ضيّق والرجل لا يتحرّك. يخطو زوجي خطوة على خشب الأرضيّة الرّطب الذي يطقطق تحت قدميه. شيء في أمارات جمود الرجل يدفع إلى التفكير في أنّه قد استقبل زائرين آخرين.

«أتتناول المتّة؟» يسأله أبوك وقد أدار له ظهره الآن، وينهمك في إفراغ أعشاب المتّة المستعمَلة في حوض الجلي.

فيقول له الآخر: أجل. ويشير أبوك إلى كرسيّ، فيجلس.

«ويلقي لم أكد أعرف امرأتك» يقول أبوك. ويدسّ أصابعه في خشبة المتّة، في حوض الجلي ما تبقّى من العشبة.

«ولكن امرأتك عرفتها»، يقول زوجي.

- امرأتي ذهبت.

يترك المتّة فوق المنضدة. لا يفعل ذلك بخبطة قويّة، ولكن ليس بحركة لطيفة أيضًا. يجلس بإزائه مع عشبة المتّة والسكّر، ويظلّ ينظر إليه.

«قل ما لديك»، يقول.

توجد وراءه صورة لرجل مع المرأة نفسها معلّقة على الجدار، وتحتها مزيد من الصور للرجل مع خيول مختلفة. مسمار وحيد يحملها جميعها، كلّ صورة معلّقة بالسابقة ومربوطة بخيط القنّب نفسه.

ـ ابنتي ليست على ما يرام ـ يقول زوجي ـ، لقد انقضى أكثر من شهر، ولكن...

لا ينظر أبوك إليه، ويسكب المتة مرّة أُخرى.

ـ أريد القول: بلى إنّها على ما يرام، وهم يعالجونها. والبقع التي على الجلد لم تعد تؤلمها كثيرًا. إنّها تستعيد عافيتها، على الرّغم من كلّ ما جرى. ولكنّ هنالك شيئًا آخر، ولا أدري ما هو؛ شيئًا آخر فيها ـ يتأخّر بضع ثوان قبل أن يواصل، كما لو أنّه يريد أن يمنح أباك وقتًا ليفهم ـ. حضرتك تعرف ما الذي حدث لنينا؟

ـ لا.

تمرُّ لحظة صمت، طويلة جدًّا، لا يتحرّك خلالها أيّ من الاثنين.

ـ لا بدّ من أنّك تعرف.

ـ لا أعرف.

يوجه زوجي ضربة إلى المنضدة، مكبوحة لكنّها فعالة، فتطفر السكريّة ويسقط الغطاء بعيدًا عنها. وينظر أبوك إليه الآن، ولكنّه يتكلّم بلا اضطراب.

ـ حضرتك تعرف أنّ لا وجود لشيء يمكن لي أن أقوله لك.

يرفع أبوك مصّاصة المتّة إلى فمه. إنّها الشيء الوحيد الذي يلمع في المطبخ. ويبدو أنّ زوجي يريد قول شيء إضافيّ، ولكن تُسمع

عندئذ ضجةٌ في الممرّ. يحدث شيء لا يستطيع زوجي، من مكان جلوسه، أن يراه. شيء عائلي مألوف بالنسبة إلى أبيك، لأنّه لا يتأثر. لقد كنتَ أنت يا دافيد، على الرّغم من أنّ هنالك شيئًا مختلفًا لا يمكن وصفه، ولكنّك كنت أنت. تطلّ على المطبخ وتظلّ تنظر إليهما. ينظر زوجي إليك. تتراخى قبضتاه، ويحاول تقدير عمرك. يركّز في نظرتك الغريبة، فتبدو له بلهاء للحظة، ثمّ يحدّق في بقع بشرتك.

ـ ها هو أمامك ـ يقول أبوك ويضيف ماءً إلى المتّة مرّةً أخرى، ومرّةً أخرى لا يقدّمها إليه ـ. كما ترى، أنا أيضًا أحبّ أن أجد من أسأله.

تنتظر هادئًا، منتبهًا لزوجي.

ـ والآن أتيح له أن يربط كلّ الأمور.

يشير أبوك نحو غرفة المعيشة، حيث أشياء كثيرة أخرى معلّقة بخيط قنّب، أو مربوطة بعضها ببعض. اهتمام زوجي كلّه منصبّ الآن على ذلك، وإن كان لا يعرف أن يقول ما هو السّبب. لا تبدو كمّيّة غير متناسبة من الأشياء، بل تبدو، على طريقتك، أقرب إلى أنّك كنت تحاول عمل شيء لحالة البيت المتردية، بكلّ ما هو موجود فيه. يعاود زوجي النّظر إليك، محاولًا أن يفهم، لكنّك تخرج راكضًا من باب الدخول، ويحتفظ الاثنان بالصمت ليسمعا وقع خطواتك المبتعدة عن البيت.

«تعال»، يقول أبوك.

ينهضان في الوقت نفسه تقريبًا. يتبعه زوجي إلى الخارج. يراه ينزل الدرجات متلفّتًا إلى كلّ ما حوله، ربّما بحثًا عنك. يرى أباك رجلًا طويلَ القامة وقويَّ البنية، يرى يديه الكبيرتين متدلّيتين على

جانبي جسمه، ومفتوحتين. يتوقّف وقد صار بعيدًا عن البيت. يتقدَّم زوجي بضع خطوات نحوه. إنَّهما قريبان، قريبان، وفي الوقت نفسه وحيدان في اتِّساع الحقول. وفيما وراءهما تبدو حقول الصويا خضراء لامعة تحت الغيوم الداكنة. لكنَّ الأرض التي يسيران عليها، ابتداء من طريق المدخل حتّى الجدول، جافَّة وقاسية.

ـ أتعرف ـ يقول أبوك ـ أنا كنت أعمل من قبل في تربية الخيول ـ وينفي بحركة من رأسه، ربَّما لنفسه بالذات ـ. ولكن، هل تسمع خيولي الآن.

ـ لا.

ـ وهل تسمع أيَّ شيء آخر؟

ينظر أبوك إلى كلّ الاتّجاهات، كما لو أنّه سيتمكّن من سماع الصمت فيما وراء ما يستطيع زوجي سماعه. للهواء رائحةُ المطر، وتهبّ نسمة رطبة من الأرض.

«عليك أن تذهب»، يقول أبوك.

يهزّ زوجي رأسه موافقًا كمن يشكره على ذلك الأمر، أو الإذن.

ـ إذا بدأ المطر بالهطول فلن تتمكّن من المرور بسبب الوحول.

يمشيان معًا في اتّجاه السيّارة، والمسافة بينهما الآن أكبر. يراكَ عندئذ زوجي. إنّكَ تجلس في المقعد الخلفيّ. لا يكاد رأسك يعلو على المسند الخلفيّ. يقترب زوجي، ويتطلّع من نافذة السائق، إنّه مصمّم على إنزالك، يريد المغادرة الآن فورًا. تنظر إلى عينيه كمَن يتوسّله، بينما أنت تجلس مستندًا إلى المسند. أرى من خلال زوجي، أرى في عينيك تينك العينين الأخريين، وحزامَ الأمان المقفل، والساقين المتقاطعتين

على المقعد، ويدًا تمتدّ قليلًا نحو دبدوب نينا، بتكتُّم، وتستند الأصابع المتّسخة إلى قوائم دمية الفرو، كما لو أنّها تحاول إمساكها.

ـ فلينزلْ ـ يقول زوجي ـ، فلينزل الآن فورًا.

«كما لو أنّه سيذهب إلى أيّ مكان»، يقول أبوك وهو يفتح باب السيّارة الخلفيّ.

تبحث العينان، بيأس، عن نظرة زوجي. لكنّ أباك يفكّ حزام الأمان ويشدّك من ذراعك إلى الخارج. يصعد زوجي إلى السيّارة غاضبًا، بينما تبتعد الهيئتان، وترجعان إلى البيت، مفترقتين. تدخل إحداهما أوّلًا، وبعد ذلك الأخرى، ويُغلَق الباب من الداخل. عندئذ فقط، يشغّل زوجي المحرّك. يُنزل السيّارة عن المرتفع الصغير، ويتّخذ طريق الدرب المعبّد. يشعر بأنّه قد أضاع الكثير من الوقت. لا يتوقّف في القرية. لا ينظر إلى الخلف. لا يرى حقول الصويا، ولا جداولَ الماء تتخلّل الأراضي الجافّة، ولا كيلومتراتِ الحقول المترامية بلا ماشية، ولا القرى والمصانعَ... حتّى الوصول إلى المدينة. لا ينتبه إلى أنّ رحلة العودة راحت تصير أبطأ فأبطأ، وأنّ هنالك كثيرًا من السيّارات ومزيدًا من السيّارات تغطّي كلّ عَصَب أسفلتي، وأنّ حركة المرور راكدة، مشلولة منذ ساعات، وأنّها تنفث الدخان بهياج. ولا يرى ما هو مهمّ: الخيط المنفلت أخيرًا، كفتيل مشتعل في مكان ما، والجائحة الثابتة الموشكة على الانفلات.

تصميم الغلاف: نجاح طاهر

آماندا، السيِّدة الشابَّة، تحتضر في مستشفى. لقد جاءت مع ابنتها "نينا" إلى ذلك المكان الريفيّ الجميل لقضاء إجازة ممتعة، لكنَّها تشعر بالرعب حين ترى كلبًا فَقَدَ إحدى قائمتيه الخلفيَّتين.

في المستشفى، تتحاور آماندا مع دافيد، فتتحدَّث عن اليأس الذي أصاب والدتَه كلارا، التي لم تعد تتعرَّف إلى ابنها، إذ تحوَّل إلى شخص آخر غريب. وتخاف آماندا أكثر على ابنتها من الشقاء الذي ستلقاه في عالمٍ يحوِّل البشرَ إلى آخرين بسبب قدرات العلم، أو التلوُّث البيئيّ، أو الخرافة...

"ليس لديَّ أيّ شكّ في أنَّ أمام سامنتا مسيرة لامعة". (ماريو بارغاس يوسَّا)

سامنتا شوابلين: كاتبة أرجنتينيَّة شابَّة. وصلتْ روايتها "حمَّى الأحلام" إلى القائمة القصيرة لجائزة "Man Booker" البريطانيَّة.


ISBN: 978-9953-89-596-3
9 789953 895963


دار الآداب
بيروت - لبنان
هاتف: 1795135– 1861633 (961+)